

ديوان محمود درويش

المجلد الثاني

دار العودة - بيروت

ديوان
محمود درويش

ديوان محمود درويش

المجلد الثاني

دار العودة - بيروت

دار العودة للصحافة والطباعة والنشر

كورنيش المزرعة عمارة الرفيرا سنتر
تلفون ٣١٠٨٤٠ ـ ٣١٨١٦٥

الطبعة الاولى
١٩٧٧/٨/١

أحبك أو لا أحبك

١٩٧٢

مزامير

— ١ —

أحبّكِ ، أو لا أحبّكِ —
أذهبُ ، أترك خلفي عناوين قابلةً للضياعْ .
وأنتظر العائدين ، وهم يعرفون مواعيد موتي ويأتون.
أنتِ التي لا أحبّك حين أُحبّك ، أسوارُ بابلَ
ضيّقةٌ في النهار ، وعيناك واسعتان ، ووجهك
منتشر في الشعاع .

كأنكِ لم تولدي بعد . لم نفترق بعد . لم تصرعيني .
وفوق سطوح الزاوبع كلٌ كلام جميل ، وكلّ
لقاء وداعٍ .
وما بيننا غيرُ هذا اللقاء ، وما بيننا غير هذا الوداع .
أُحبّكِ . أو لا أُحبّك —
يهربُ مَني جبيني . وأشعر أنك لا شيء أو كل شيء
وأنك قابلة للضياع .

* * *

أُريدكِ . أو لا أُريدكِ —
إنّ خرير الجداول محترقٌ بدمي . ذات يوم أراك ،

وأذهبْ .
وحاولتُ أن أستعيد صداقَة أشياء غابت ــ نجحت .
وحاولتُ أن أتباهى بعينين تتسعان لكل خريف ــ
نجحت . وحاولتُ أن أرسم اسماً يلائم زيتونةً
حول خاصرةٍ ــ فتناسَلَ كوكبْ .

أريدك حين أقول أنا لا أُريدك . .
وجهي تساقط . نهرٌ بعيدٌ يذوبُ جسمي . وفي السوق
باعوا دمي كالحساء المعلّب .
أُريدك . حين أقول أُريدك ــ

يا امرأة وضعتْ ساحل البحر الأبيض المتوسط في
حضنها . . وبساتين آسيا على كتفيها . . وكلَّ
السلاسل في قلبها .
أُريدك . أو لا أُريدك —

إنَّ خرير الجداول . إنَّ حفيف الصنوبر . إنَّ هدير
البحار . وريشَ البلابل محترقٌ في دمي — ذات
يوم أراك . وأذهب .

* * *

أغنّيك . أو لا أغنّيك –
أسكتُ . أصرخُ . لا موعد للصراخ ولا موعـــد
للسكوت . وأنتِ الصراخ الوحيدُ وأنتِ السكوت
الوحيدْ .

تداخل جلدي بحنجرتي . تحت نافذتي تعبر الريح
لابسةً حَرَساً . والظلامُ بلا موعد . حين ينزل
عن راحتيَّ الجنودْ .
سأكتبُ شيئاً . .
وحين سينزل عن قدميَّ الجنود .

سأمشي قليلاً . .
وحين سيسقط عن ناظريَّ الجنود
أراك . . أرى قامتي من جديد .
أغنّيك . أو لا أُغنّيك
أنت الغناء الوحيد ، وأنت تُغنّيني لو سكتَّ . وأنت
السكوتُ الوحيد .

— ٢ —

في الأيام الحاضره
أجد نفسي يابساً
كالشجر الطالع من الكتب
والريح مسألة عابره .
أحارب . . أو لا أُحارب ؟
ليس هذا هو السؤال
المهمّ أن تكون حنجرتي قويّه .

أعمل . . أو لا أعمل ؟
ليس هذا هو السؤال
المهمّ أن أرتاح ثمانية أيام في الأسبوع
حسب توقيت فلسطين .
أيها الوطن المتكرر في الأغاني والمذابح .
دُلّني على مصدر الموت
أهو الخنجر . . أم الأكذوبة ؟

* * *

لكي أذكر أن لي سقفاً مفقوداً

ينبغي أن أجلس في العراء .
ولكيلا أنسى نسيم بلادي النقي
ينبغي أن أتنفس السل
ولكي أذكر الغزال السابح في البياض
ينبغي أن أكون معتقلاً بالذكريات .
ولكيلا أنسى أن جبالي عالية
ينبغي أن أُسرّح العاصفة من جبيني .
ولكي أُحافظ على ملكية سمائي البعيدة
يجب ألاّ أملك حتّى جلدي .

* * *

أيها الوطن المتكرر في المذابح والأغاني
لماذا أُهرّبك من مطار إلى مطار
كالأفيون ..
والحبر الأبيض ..
وجهاز الإرسال ؟ !

* * *

أُريد أن أرسم شكلك .
أيها المبعثر في الملفات والمفاجآت
أريد أن أرسم شكلك

أيها المتطاير على شظايا القذائف وأجنحة العصافير
اريد أن أرسم شكلك
فتخطف السماءُ يدي .
أريد أن أرسم شكلك
أيها المحاصر بين الريح والخنجر
أريد أن أرسم شكلك
كي أجد شكلي فيك
فأُتـهم بالتجريد وتزوير الوثائق والصور الشمسية
أيها المحاصر بين الخنجر والريح .

* * *

ويا أيها الوطن المتكرر في الأغاني والمذابح
كيف تتحول إلى حلم وتسرق الدهشة
لتتركني حجراً .
لعلّك أجمل في صيرورتك حلماً
لعلّك أجمل ! .

* * *

لم يبق في تاريخ العرب
اسم أستعيره
لأتسلّل به إلى نوافذك السرّية .

كل الأسماء السرية محتجزة
في مكاتب التجنيد المكيّفة الهواء
فهل تقبل اسمي –
اسمي السري الوحيد –
محمود درويش ؟
أما اسمي الأصلي
فقد انتزعته عن لحمي
سياطُ الشرطة وصنوبرُ الكرمل

* * *

أيها الوطن المتكرر في المذابح والأغاني
دُلّني على مصدر الموت
أهو الخنجر
أم الأكذوبة ؟ !

— ٣ —

يومَ كانتْ كلماتي
تربةً . .
كنت صديقاً للسنابلْ .

يومَ كانت كلماتي
غضباً . .
كنت صديقاً للسلاسل

يوم كانت كلماتي
حجراً . .
كنتُ صديقاً للجداول .

يومَ كانت كلماتي
ثورةً . .
كنت صديقاً للزلازل

يوم كانت كلماتي
حنظلاً . .
كنتُ صديقَ المتفائل

حين صارت كلماتي
عسلاً . .
غطّى الذباب
شفتيَّ ! . .

— ٤ —

تركت وجهي على مناديل أُمّي
وحملت الجبال في ذاكرتي
ورحَلْت ..
كانت المدينة تكسر أبوابها
وتتكاثر فوق سطوح السفن
كما تتكاثر الخضرة في البساتين الّتي تبتعد ..
إنّي أتّكىء على الريح

يا أيتها القامة التي لا تنكسر
لماذا أترنّح ؟ . . وأنت جداري

وتصقلني المسافة
كما يصقل الموتُ الطازج وجوهَ العُشّاق
وكلما ازددتُ اقتراباً من المزامير
ازددتُ نُحولاً . .
يا أيتها الممرات المحتشدة بالفراغ
متى أصل ؟ . .

طوبى لمن يلتفّ بجلده !

طوبى لمن يذكر اسمه الأصليّ بلا أخطاء !
طوبى لمن يأكل تفاحة ولا يصبح شجرة .
طوبى لمن يشرب من مياه الأنهار البعيدة
ولا يصبح غيماً !
طوبى للصخرة التي تعشق عبوديتها
ولا تختار حرية الريح ! .

— ٥ —

أكلما وقفتْ غيمة على حائط
تطايرت إليها جبهتي كالنافذة المكسورة
ونسيت أني مرصود بالنسيان
وفقدت هويتي ؟

إنني قابل للإنفجار
كالبكارة . .

وكيف تتّسع عيناي لمزيد من وجوه الأنبياء ؟
إتبعيني أيتها البحار التي تسأم لونها
لأدلّك على عصا أخرى .
إنني قابل للأعجوبة
كالشرق . .

أنا حالة تفتقد حالتها
حين تكفّ عن الصراخ
هل تسمّون الرعدَ رعداً والبرقَ برقا
إذا تحجّر الصوت . وهاجر اللون ؟ !

أكلما خرجتُ من جِلدي
ومن شيخوخة المكان
تناسل الظلّ ، وغطّاني . . . ؟
أكلما أطلقتُ رياحي في الرماد
بحثاً عن جمرة منسيّة
لا أجد غير وجهي القديم الذي تركته
على منديل أُمي ؟

إنني قابلٌ للموت
كالصاعقه . .

— ٦ —

أشجار بلادي تحترف الخضرة
وأنا أحترف الذكرى .
والصوت الضائع في البرية
ينعطف نحو السماء ، ويركع :
أيها الغيم ! هل تعود ؟

لستُ حزيناً إلى هذا الحدّ

ولكن ، لا يحبّ العصافير
من لا يعرف الشجر .
ولا يعرف المفاجأة
من اعتاد الأكذوبة .
لستُ حزيناً إلى هذا الحد
ولكن ، لا يعرف الكذب
من لم يعرف الخوف .

أنا لستُ منكمشاً إلى هذا الحد
ولكن الأشجار هي العالية .
سيداتي ، آنساتي ، سادتي

أنا أحبّ العصافير
وأعرف الشجر
أنا أعرف المفاجأة
لأني لم أعرف الأكذوبة .
أنا ساطع كالحقيقة والخنجر
ولهذا أسألكم :
أطلقوا النار على العصافير
لكي أصِفَ الشجر .
أوقفوا النيل
لكي أصف القاهرة .
أوقفوا دجلة أو الفرات أو كليهما

لكي أصف بغداد .
أوقفوا بردى
لكي أصف دمشق .
وأوقفوني عن الكلام
لكي أصف نفسي . .

— ٧ —

ظلُّ النخيل ، وآخرُ الشهداء ، والمذياع يرسل صورةً
صوتيةً عن حالة الأحباب يومياً — أُحبّك في
الخريف وفي الشتاءْ .

— لم تبك حيفا . أنت تبكي . نحن لا ننسى تفاصيل
المدينة ، كانت امرأةً ، وكانت أنبياءْ .

البحرُ ! لا . البحرُ لم يدخل منازلنا بهذا الشكل .

خمسُ نوافذ غرقتْ . ولكنَّ السطوح تعجّ
بالعشب المجفّف والسماءْ —

ودَّعتُ سجّاني . سعيداً كان بالحرب الرخيصة .
آه يا وطن القرنفل والمسدَّس : لم تكن أُمّي معي .
وذهبتُ أبحث عنك خلف الوقت والمذياع . شكللك
كان يكسرني . . ويتركني هباء .

كان الكلام خطيئةً ، والصمت منفى . والفدائيون
أسرى توقهم للموت في واديك . كان الموت تذكرة
الدخول إلى يديك . وكنتَ تحتقر البكاء .

والذكرياتُ هويّة الغرباء أحياناً ، ولكنّ الزمان
يضاجع الذكرى وينجب لاجئين ، ويرحل
الماضي ؛ ويتركهم بلا ذكرى . أتذكرنا ؟ وماذا
لو تقول : بلى ! . أتذكر كل شيء عنك ؟ ماذا
لو نقول : بــلى ! . وفي الدنيا قضاةٌ يعبدون
الأقوياء .

من كل نافذة رميتُ الذكريات كقشرة البطيخ .
واستلقيتُ في الشّفَق المحاذي للصنوبر (تلمع
الأمطار في بلد بعيد. تقطف الفتياتُ خوخاً غامضاً...)

والذكريات تمرُّ مثل البرق في لحمي ، وترجعني
إليك . . إليك . إنّ الموت مثل الذكريات كلاهما
يمشي إليك . . إليك ، يا وطناً تأرجح بين كلّ
خناجر الدنيا وخاصرةِ السماء .

ظلّ النخيل ، وآخر الشهداء والمذياع يرسل صورة
صوتية عن حالة الأحباب يومياً — أُحبك في
الخريف وفي الشتاء .

— ٨ —

أيتها البلاد التي يعرف المزاجُ أسماءها
تعرفك سياط التاريخ
وسجون التاريخ
ومنافي التاريخ .
أيتها المسبيّة في كل العصور
لماذا تحدّدين شكلك بمثل هذه المغامرة ؟
ولماذا تعلنين عن نفسك

كجنين العالم ؟
ولماذا أنت جميلة إلى حدّ الانتحار ؟
وأكثر من ذلك :
لماذا لا تعلنين براءتك مني
لأكفّ عن الموت ؟ . .

أيتها البلاد القاسية كالنعاس
قولي مرة واحدة :
انتهى حبنا .
لكي أصبح قادراً على الموت . . والرحيل .

إني أحسد الرياح التي تنعطف فجأة
عن رماد آبائي
إني أحسد الأفكار المختبئة في ذاكرة الشهداء
وأحسد سماءك المختفية في عيون الأطفال .
ولكنني لا أحسد نفسي .
تنتشرين على جسمي كالعرق
وتنتشرين في جسمي كالشهوة
وتحتلين ذاكرتي كالغزاة
وتحتلين دماغي كالضوء .
موتي . . لأرثيك
أو كوني زوجتي لأعرف الخيانة
مرة واحدة .

— ٩ —

أيتها الوردة الواقفةخارج الزمن والحواس
يا قبلة في مناديل الرياح ..
فاجئيني بحلم واحد
يرتدُّ عنك جنوني ! .

لقد ابتعدتُ عنك
لأقترب منك

فوجدتُ الزمن .

واقتربتُ منك
لأبتعد عنك
فوجدتُ الحواس .

بين الابتعاد والاقتراب
حجر في حجم الحلم
لا يقترب
ولا يبتعد
وأنتِ بلادي

وأنا لستُ حجراً
وهذا ، لا أحاذي السماء
ولا أوازي الأرض
رأبقى غريباً . .

— ١٠ —

حالة الاحتضار الطويله
أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفوله
ادخلتني بيوتاً
ساوباً
سنابل
منحتني هويته
جعلتني قضيه

حالةُ الاحتضار الطويله .

* * *

كان يبدو لهم
أني ميّت . والجريمةُ مرهونةٌ بالأغاني
فمرّوا ، ولم يلفظوا اسمي .
دفنوا جثتي في الملفّات والانقلابات .
وابتعدوا . .
(والبلاد التي كنتُ أحلم فيها — سوف
تبقى البلاد التي كنتُ أحلم فيها) .

كان عمراً قصيراً
وموتاً طويلا
وأفقتُ قليلا
وكتبتُ اسم أرضي على جُثّتي
وعلى بندقيه
قلت : هذا سبيلي
وهذا دليلي
إلى المدن الساحليه .
وتحركتُ ،
لكنهم قتلوني .

* * *

دفنوا جثتي في الملفات والانقلابات ،
وابتعدوا . .
والبلاد التي كنتُ أحلم فيها
سوف تبقى البلاد التي كنتُ أحلم فيها .

* * *

أنا في حالة الاحتضار الطويله
سيّد الحزن .
والدمع من كل عاشقة عربيّه
وتكاثر حولي المغنّون والخطباء

وعلى جثتي ينبتُ الشعر والزعماء
وكل سماسرة اللغة الوطنيه
صفّقوا
صفّقوا
صفّقوا
ولتعشْ
حالة الاحتضار الطويله

* * *

حالةُ الاحتضار الطويله

أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفوله
أدخلتني بيوتاً . . قلوباً . . سنابل
جعلتني قضيّه
منحتني هويّه
وتراثَ السلاسل .

— ١١ —

لم يبق لي
إلاّ أن أتشرد في ظلّك الذي هو ظلّي
ولم يبق لي
إلاّ أن أسكن صوتك الذي هو صوتي .

تدحرجتُ عن صليب الممتدّ كالصحو
في أُفق لا ينحني ،

إلى أصغر جبل تصل إليه الرؤيا
فلم أعثر على جرحي .. وحريتي ! .
لأنني لا أعرف مكانك
لا أجد خطوتي
ولأنّ ظهري لا يستند إليك بالمسامير .
أصبحتُ شديد الانحناء
كسمائك التي ترافق نوافذ الطائرات .

أعيدي إليّ تقاطيع اسمي
لأحتكم الى ألياف الشجر ..
أعيدي إليّ حروف وجهي

لأحتكم إلى العواصف المقبلة
أعيدي إليّ أسباب فرحي
لأحتكم إلى التراجع الذي لا سبب له .

لأنّ صوتي يابسٌ كسارية العَلَم
ويدي فارغة كالنشيد الوطني
ولأن ظلّي واسع كمهرجان
وقسمات وجهي تتنزّهُ في سيارة الإسعاف
لأني هكذا ،
فأنا مواطن في مملكة لم تولد . .

— ١٢ —

إعتقلتُ نفسي داخل نفسي
لأن نفسي ليست جاسوسة على نفسي .
والمطر يتساقط في الخارج
بلا سبب .

طوبى لمن يعرف حدود سعادتي !
طوبى للربّ الذي يقرأ حريتي

طوبى للحارس الذي يحبس طمأنينتي
في عينيه الساهرتين
طوبى لمن يفهم ما معنى أن أكون
السجين والسجّان في آن واحد .
أيتها النوافذ البعيدة كالحب الأول
أنا لا أقيم في بابل
بابل هي التي تسكن تقاطيع وجهي
أينما ذهَبْتُ .
ويا أيتها النوافذ البعيدة كالحب الأول
أنا لستُ منفياً
في قلبي نفيتُ المنفى . وذهبت .

ألمطر يتساقط في الخارج
بلا سبب .
والقحط ينتشر في الداخل
لأسباب كثيرة .
فمن يعيد ترتيب الفصول
ومن يغيّر نظام الروزنامة
ومن يعلمني مراثي إرميا
في طُرُق أورشليم التي لعنها الرب ،
لكن أعلن للمرة الأولى
تاريخ ميلادي ،
من ؟ .

— ١٣ —

إني أتأهّب للانفجار
على حافة الحلم
كما تتأهب الآبار اليابسة
للفيضان .

إني أتأهب للانطلاق
على حافة الحلم

كما تتأهب الحجارة
في أعماق المناجم الميتة

إني أتحفّز للموت
على حافة الحلم
كما يتحفز الشهيد للموت
مرة أُخرى .

إني أتأهب للصراخ
على حافة الحقيقة
كما يتأهب البركان
للانفجار .

— ١٤ —

الرحيل انتهى
من يغطّي حبيبي
كيف مرّ المساء المفاجىء
كيف اختفى
في عيون حبيبي ؟
الرحيل انتهى .

أصدقائي يمرون عني .

أصدقائي يموتون فجأة .

الرحيل انتهى
في جناح السنونو .
الرحيل ابتدأ
حين فرّ السجين .

ماعرفتُ الضياع
في صرير السلاسل
كان لحمي مشاع
كسطوح المنازل
لعدوّي . ولكن

ما عرفت الضياع
في صرير السلاسل

آصدقائي يمرُّون عني
اصدقائي يموتون فجأة .

— ١٥ —

هارب من الحدود التي افترست أصدقائي
والحدود تعدو ورائي ..
الحدود تقترب تقترب
وتلامس حلقي .

من الصعب أن تعرفوا
أين تنتهي الأسطورة
وأين يبدأ وجهي

لأن الحدود قريبة ! .

هذه الشقوق المحفورة في جبيني
ليست بصمات سنين .
وهذه الخطوط الزرقاء تحت عيني
ليست دليلاً على السهر مع النساء
إنها الحدود التي تتشعب في جسمي .

أنا محكوم بالهزيمة
وعدوّي محكوم بالنصر
أنا صامد في الهزيمة
وعدوّي صامد في النصر .

أيها الظلام القادم إلى المدينة
إنهمر . . إنهمر .
لأني أعتزم الليلة مغادرة وجهي الحافل بالحدود
في اتجاه قلبي ؛
وهو المدينة الوحيدة التي لم تقع في الأسر .

— ١٦ —

أداعب الزمن
كأمير يلاطف حصاناً .
وألعبُ بالأيام
كما يلعب الأطفال بالخرز الملوّن .

إني أحتفل اليوم
بمرور يوم على اليوم السابق

وأحتفل غداً
بمرور يومين على الأمس
وأشرب نخب الأمس
ذكرى اليوم القادم
وهكذا .. أواصل حياتي ! .

عندما سقطت عن ظهر حصاني الجامح
وانكسرت ذراعي
أوجعتني إصبعي التي جرحت
قبل ألف سنة !

وعندما أحييت ذكرى الأربعين لمدينة عكا
أجهشت في البكاء على غرناطة
وعندما التفَّ حبل المشنقة حول عنقي
كرهت أعدائي كثيراً
لأنهم سرقوا ربطة عنقي !

— ١٧ —

نرسم القدس :
إله يتعرّى فوق خطٍ داكن الخضرة. أشباه عصافير تهاجرْ .
وصليب واقف في الشارع الخلفيّ . شيء يشبه البرقوق
والدهشة من خلف القناطرْ .
وفضاء واسع يمتدُّ من عورة جنديّ إلى تاريخ شاعر .

* * *

نكتبُ القدسَ :
عاصمة الأمل الكاذب . . الثائر الهارب . . الكوكب
الغائب . اختلطتْ في أزقّتها الكلماتُ الغريبةُ ،
وانفصلتْ عن شفاه المغنّين والباعةِ القُبَلُ
السابقهْ .
قام فيها جدار جديد لشوق جديد . وطروادةُ
التحقتْ بالسبايا . ولم تَقُل الصخرةُ الناطقهْ
لفظةً تُثبِتُ العكس . طوبى لمن يجهضُ النار في
الصاعقهْ ! .

* * *

ونغنّي القدسَ :
يا أطفالَ بابلْ
يا مواليد السلاسلْ
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون .
وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي
قريباً يصبح الدمع سنابل .
آه . يا أطفال بابل
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون
وقريباً

وقريباً
وقريباً . . .
هلّلويا
هلّلويا !

عائد الى يافا

هو الآن يرحل عنّا
ويسكن يافا
ويعرفها حجراً . . حجرا
ولا شيء يشبهه
والأغاني
تقلّدهُ . .
تقلّد موعده الأخضرا .
هو الآن يعلن صورته —
والصنوبر ينمو على مشنقه°
هو الآن يعلن قصّته —
والحرائقُ تنمو على زنبقه .

هو الآن يرحل عنّا
ليسكن يافا .

* * *

ونحن بعيدون عنه ،
ويافا حقائبُ منسيّةٌ في مطارْ
ونحن بعيدون عنه ؛
لنا صُوَرٌ في جيوب النساء ،
وفي صفحات الجرائدِ ،
نعلن قصّتنا كل يوم

لنكسب خصلة ريح وقبلة نار .

ونحن بعيدون عنه ،
نهيب به أن يسير إلى حتفه . .
نحن نكتب عنه بلاغاً فصيحاً
وشعراً حديثاً
ونمضي . . لنطرح أحزاننا في مقاهي الرصيف
ونحتجُّ : ليس لنا في المدينة دار .
ونحن بعيدون عنه ،
نعانق قاتله في الجنازة ،
نسرق من جرحه القطن حتّى نلمّعَ

* * *

هو الآن يخرج منا
كما تخرج الأرض من ليلة ماطرهْ
وينهمر الدمُ منهُ
وينهمرُ الحبرُ منّا .
وماذا نقول له ؟ ــ تسقطُ الذاكرهْ
على خنجرٍ ؟
والمساءُ بعيدٌ عن الناصرهْ !

هو الآن يمضي إليه
قنابل أو . . برتقاله
ولا يعرف الحدّ بين الجريمة حين تصير حقوقاً
وبين العداله
وليس يصدّق شيئاً
وليس يكذّبُ شيئاً .
هو الآن يمضي . . ويتركنا
كي نعارض حيناً
ونقبلَ حينا .
هو الآن يمضي شهيداً
ويتركنا لاجئينا !

ونام
ولم يلتجىء للخيام
ولم يلتجىء للموانىء
ولم يتكلّمْ
ولم يتعلّمْ
وما كان لاجىء .
هي الأرض لاجئةٌ في جراحه
وعاد بها .
لا تقولوا : أبانا الذي في السموات
قولوا : أخانا الذي أخذ الأرض منّا
وعاد . .

هو الآن يُعدمُ
والآن يسكنُ يافا
ويعرفها حجراً . . حجرا
ولا شيء يشبهه
والأغاني
تقلّده .
تقلّد موعده الأخضرا

لترتفع الآن أذرعةُ اللاجئين
رياحاً . . رياحا .
لتنتشر الآن أسماؤهم
جراحاً . . جراحا .

لتنفجر الآن أجسادهم
صباحاً .. صباحا .
لتكتشف الأرضُ عنوانها
ونكتشف الأرضَ فينا .

عازف الجيتار المتجول

كان رسّاماً ،
ولكنّ الصُّوَر
عادةً ،
لا تفتح الأبواب
لا تكسرها . .
لا تردّ الحوت عن وجه القمر .
(يا صديقي ، أيها الجيتار

خذني ..
للشبابيك البعيدهْ)

* * *

شاعراً كان :
ولكنّ القصيدهْ
يبستْ في الذاكرهْ
عندما شاهد يافا
فوق سطح الباخره .

(يا صديقي ، أيها الجيتار
خذني . .
للعيون العسليّه)

* *

كان جنديّاً .
ولكنَّ شظيّهْ
طحنتْ ركبته اليسرى
فأعطوهُ هديّه :
رتبةً أُخرى

ورجلا خشبيه !

(يا صديقي ، أيها الجيتار
خذني ..
للبلاد النائمه)

* * *

عازف الجيتار يأتي
في الليالي القادمه
عندما ينصرف الناسُ إلى جمع تواقيع الجنود

عازف الجيتار يأتي
من مكان لا نراهُ
عندما يحتفلُ الناس بميلاد الشهود
عازف الجيتار يأتي
عارياً ، أو بثياب داخليه .

عازف الجيتار يأتي
وأنا كدت أراه
وأشمّ الدم في أوتارِهِ
وأنا كدت أراه
سائراً في كل شارعْ

كدت أن أسمعه
صارخاً ملء الزوابع
حدّقوا :
تلك رجل خشبيّه
واسمعوا :
تلك موسيقى اللحوم البشريّه

تقاسيم على الماء

وراء الخريف البعيدْ
ثلاثون عاماً
وصورةُ ريتا
وسنبلة أكملت عمرها
في البريد .
وراء الخريف البعيد .

أحبكِ يوماً . . وأرحل

تطير العصافير باسمي
وتُقتلُ .
أُحبك يوماً
وأبكي
لأنك أجمل من وجه أمي
وأجملُ
من الكلمات الّتي شرّدتني . .

على الماء وجهك ،
ظلّ المساء
نخاصمُ ظلّي

وتمنعني من محاذاة هذا المساء
نوافذُ أهلي .
متى يذبل الورد في الذاكره ؟
متى يفرح الغرباء ؟
لكي أصف اللحظة العائمه
على الماء —
أسطورة أو سماء . .

. . وتحت السماء البعيدهْ
نسيتك .
تنمو الزنابق

هناك . . بلا سببٍ
والبنادق
هناك . . بلا غضبٍ
والقصيدهْ
هناك . . بلا شاعر
والسماء البعيده
تحاذي سطوح المنازلَ
وقبّعةَ الشرطيِّ
وتنسى جبيني . .

وتحت المساء الغريبْ

تعذّبنا الأرض ،
جسمك يقتبس البرتقال
ويهربُ منّي .
أحبّك ،
والأفق يأخذ شكل سؤال
أحبّك ،
والبحر أزرقْ
أحبّك ،
والعشب أخضرْ
أحبّك – زنبقْ
أحبّك – خنجر

احبّك يوماً
وأعرف تاريخ موتي

أُحبّك يوماً
بدون انتحار
وراء الخريف البعيد
أمشّط شعرك .
أرسم خصرك . .
في الريح ، نجماً . . وعيد . .
أُحبّك يوماً
أحبّك قرب الخريف البعيد

تمرّ العصافير باسمي
طليقهْ
وباسمي – يمر النهار
حديقه .
وباسمك أحيا
أحبّك يوماً ،
وأحيا . .
وراء الخريف البعيد .

قتلوك في الوادي

أهديكِ ذاكرتي على مرأى من الزمنِ
أهديكِ ذاكرتي
ماذا تقول النار في وطني
ماذا تقول النار ؟
هل كنتِ عاشقتي
أم كنتِ عاصفةً على أوتار ؟
وأنا غريب الدار في وطني

غريب الدار . .

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن
أهديك ذاكرتي
ماذا يقولُ البرقُ للسكّينْ
ماذا يقول البرقْ
هل كنت في حطّين
رمزاً لموت الشرقْ
وأنا صلاح الدين
أم عبدُ الصليبيين ؟

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن .
أهديك ذاكرتي
ماذا تقولُ الشمسُ في وطني
ماذا تقول الشمسْ ؟
هل أنت ميّتة بلا كفنِ
وأنا بدون القدسْ ؟

* * *

طلعتْ من الوادي
يُقال تضاءل الوادي وغابْ
وجمالها السرّيّ لفّ سنابل القمح الصغيرةَ

حلّ أسئلة التّراب .
هل تذكرون الصيف يا أبناء جيلي
يا كلّ أزهار الجليل
وكلّ أيتام الجليل
هل تذكرون الصيف يصعد من أناملها
ويفتح كلّ بابْ .
قالت بنفسجة لجارتّها
عطشتُ ،
وكان عبد الله يسقيني
فمن أخذ الشباب من الشباب ؟

طلعتْ من الوادي
وفي الوادي تموت . .
ونحن نكبر في السلاسلْ
طلعتْ من الوادي مفاجأة
وفي الوادي تموت على مراحل .
ونمرّ عنها الآن جيلاً بعد جيل
ونبيع زيتون الجليل بلا مقابل
ونبيع أحجار الجليل
ونبيع تاريخ الجليل
ونبيعها .
كي نشتري في صدرها شكلاً

مقتولٍ يقاتل .

* * *

لم أعترفْ بالحبّ عن كُتُبٍ
فليعترف موتي
وطفولتي — طروادة العرب
تمضي . . ولا تأتي

كلّ الخناجر فيك ،
فارتفعي
يا خضرة الليمون

وتوهجي في الليل
واتسعي
لبكاء مَنْ يأتون

ألريحُ واقفةٌ على خنجرْ
ودماؤنا شَفَقُ
لا تحرقي منديلك الأخضر
أللّيل يحترقُ

طوبى لمن نامت على خشبهْ
مِلْءَ الردى .. حيّه
طوبى لسيف يجعل الرقبه

أنهار حريّه !

لم نعترف بالحبّ عن كثبِ
فليغضب الغضبُ
نمشي إلى طروادة العرب
والبعد يقترب ُ .

* * *

لا تذكرينا
حين نفلتُ من يديكِ
إلى المنافي الواسعه

إنّا تعلّمنا اللغات الشائعه
ومتاعبَ السّفَرَ الطويل
إلى خطوط الاستواء
والنومَ في كل القطارات البطيئة والسريعه
والحبَّ في الميناء . .
والغزلَ المعدّ لكل أنواع النساء
إنا تعلّمنا صداقَةَ كل جرحٍ
ومصارعَ العشّاق
والشوقَ المعلّبَ
والحساءَ بدون ملح

* * *

ـ يا أيها البلد البعيدْ
هل ضاع حبّي في البريد ؟
لا قُبلة المطاط تأتينا
ولا صدأ الحديد
كُلّ البلاد بلادنا
ونصيبُنا منها .. بريدْ !

* * *

لا تذكرينا
حين نفلتُ من يديك
إلى السجون

إنّا تعلمنا البكاء بلا دموع
وقراءةَ الأسوار والأسلاك والقمر الحزين
حرية . .
وحمامة . .
ورضا يسوع .
وكتابةَ الأسماء :
عائشة تودّع زوجها
وتعيش عائشةٌ . .
تعيش روائح الدم والندى والياسمين

* * *

ـ يا أيها الوجه البعيدْ
قتلوك في الوادي ،
وما قتلوك في قلبي
أريدكَ أن تعيد
تكوينَ تلقائيتّي
يا أيها الوجه البعيد !

* * *

ولتذكرينا . .
حين نبحث عنك تحت المجزرهْ
وليبقَ ساعدُكِ المطلّ على هدير البحر

والدم في الحدائق

وعلى ولادتنا الجديدة . .

قنطره !

ولتبقَ كلُّ زنابق الكفّ الندّيه

في حديقتها

فإنّا قادمون

مَنْ يشتري للموت تذكرة سوانا

اليوم . . مَنْ !

نحن اعتصرنا كلَّ غيم خرائط الدنيا

وأشعارَ الحنين إلى الوطنْ

لا ماؤها يروي

ولا أشواقها تكوي
ولا تبني وطنْ .

ولتذكرينا . .
نحن نذكرك اخضراراً طالعاً من كل دم
طين . . ودم
شمس . . ودم
زهر . . ودم
ليل . . ودم
وسنشتهيك —
وأنت طالعة من الوادي

ونازلةٌ إلى الوادي
غزالا سابحاً في حقل دم
دم
دم
دم ..

* * *

يا قبلة نامت على سكّينْ
تفّاحةَ القُبَل
من يذكر الطعم الذي يبقى —
ولا تبقين —

كحديقة الأملِ !

– إنّا كبرنا أيها المسكين

قالت لي الدنيا .

– وحبيبتي ؟

* لا يكبر الموتى

– وأقماري ؟

* سقطتْ مع الدار

يا قبلة نامت على سكّينْ

هل تذكرين فمي ؟

إني أحبّكِ حين تحترقين

هل تحرقين دمي !
كالزنبق اللاذع
وأحبّ موتك حين يأخذني
إلى وطني
كالطائر الجائع
يا قبلة نامت على سكّينْ .

ألبرتقال يضيء غربتنا
ألبرتقال يضيءْ
والياسمين يثير عزلتنا
والياسمين بريء

يا قبلة نامتْ على سكّين .

تستيقظين على حدود الغدْ
تستيقظين الآنْ
وتبعثْرين الساحل الأسود
كالريح والنسيان
يا قبلة نامت على سكّين

* * *

كَبُرَ الرحيل
كبر اصفرار الورد يا حبي القتيلْ

كبر التسكّع في ضياء العالم المشغول عنّي
كبر المساء على شوارع كل منفى
كبر المساء على نوافذ كل سجن
وكبرتُ في كل الجهات
وكبرت في كل الفصول . .
وأراكِ
تبتعدين . . تبتعدين في الوادي البعيد
وتغادرين شفاهنا
وتغادرين جلودنا
وتغادرين . .
وأنتِ عيد .

وأراكِ
أشجارُ النخيلْ
سقطتْ .
وماذا قال عبد الله ؟
– في الزمن البخيل
يتكاثر الأطفال والذكرى وأسماء الإله .
وأراكِ
كلّ يد تصيح هناك آه
كنّا صغاراً
كانت الأشياء جاهزة
وكان الحبّ لعبهْ .

وأراكِ

وجهي فيك يعرفني

ويعرف كلَّ حبّه .

من شاطىء الرمل الكبير

وأنت تبتعدين عني

والموت نسبه .

وأراكِ . .

أحنتْ غابة الزيتون هامتها

لريح عابره

كل الجذور هنا

هنا

كل

الجذور

الصابره

فاتحترق كل الرياح السود

في عينين معجزتين

يا حبّي الشجاع .

لم يبق شيء للبكاء

إلى اللقاء

إلى اللقاء .

كبرت مراسيم الوداع

والموت مرحلة بدأناها
وضاع الموت
ضاع . .
في ضجة الميلاد
فامتدي
من الوادي إلى سبب الرحيل
جسماً على الأوتار يركض
كالغزال المستحيل .



مرة أخرى

(٦)

مَرَّةً أخرى
ينامُ القَتَلَهْ
تحت جلدي
وتصير المشنقه
عَلَماً
أو
سنبلهْ

في سماء الغابة المحترقهْ

حَذَفَ الظل يديها من جبيني
فاختبأنا في الظهيرهْ

مرة أخرى
يمرُّ العسكريّ
تحت جلدي .
مرة أُخرى
يُواري شفتيّ
في تجاعيد النشيد الوطني !

حذف الظلّ يديها من جبيني
فاختبأنا في الظهيره .

مرّة أُخرى
يفر الشهداء
من أغاني الشعراء .
مرةً أخرى
نزلنا عن صليبَيْنا
فلم نعثر على أرض
ولم نبصر سماء

حذف الظلّ يديها من جبيني
فاختبأنا في الظهيره

مرةً أخرى
اتّحدنا
أنا والقاتل والموت المعاد
أصبحت حريتّي عبئاً
على قلبي
وعيناها منافي وبلاد
مرة أخرى
يضيع الماء في الغيم

ونُدعى للجهاد ! .

حذف الظلّ يديها من جبيني
فاختبأنا في الظهيره .

قتلوها في الظهيره
بدلاً مني ،
ولم يعتقلوني
مرةً أخرى
لأنَّ القتَلهْ
تحت جلدي . .

أغنية الى الريح الشمالية

قُبَلٌ مجفّفةٌ على المنديلِ
من دار بعيدهْ
ونوافذ في الريح ،
تكتشف المدينة في قصيدهْ .
كان الحديث سدى عن الماضي
وكسّرني الرحيلْ
وتقاسمتني زرقةُ البحر البعيد

وخضرةُ الأرض البعيده .
أماه ! . وانتحرت بلا سببٍ
عصافير الجليل .
يا أيها القمر القريب من الطفولة والحدود
لا تسرق الحلم الجميل
من غرفة الطفل الوحيد
ولا تسجّل فوق أحذية الجنود
إسمي وتاريخي —
سألتك أيها القمر الجميل .
هربت حقولُ القمح من تاريخها
هرب النخيل .

كان الحديث سدى عن الماضي
وكان الأصدقاء
في مدخل البيت القديم يسجّلون
أسماء موتاهم
وينتظرون بوليسأ
وطوق الياسمين . .

* * *

قُبَلٌ مجفّفةٌ على المنديل
من دار بعيده .
ونوافذ في الريح تكسر جبهتي

قرب المساء .
كان البريد يعيد ذاكرتي من المنفى
ويبعثني الشتاء
غصناً على أشجار موتانا
وكان الأصدقاء
في السجن . .
كانوا يشترون الضوء
والأمل المهرّب
والسجائر
من كل سجّان وشاعر .
كانوا يبيعون العذاب لأي عصفور مهاجر

ما دام خلف السور حقل من ذره
وسنابل تنمو ..
بلادي خلف نافذة القطار
تفاحة مهجورة ،
ويدان يابستان كالدفلى ..
كأسماء الشوارع ..
كالحصار .
بالقيد أحلم ،
كي أفسّر صرختي للعابرينْ
بالقيد أحلم ،
كي أرى حربي ، واعدّ أعمار السنين

بالقيد أحلم ،

كيف يدخل وجه يافا في حقيبه !

بيني وبينك بوهة في زي مشنقةٍ

ولم أُشنق . . فعدت بلا جبين .

بيني وبين البرهة امتدّت عصور .

بالقيد أحلم ،

كيف يدخل وجه يافا في حقيبه ! .

* * *

قُبَلٌ مجفّفة على المنديل

من دار بعيده .

ونوافذ في الريح ، يا ريح الشمال
ردّي إلى الأحباب قُبلتهم
ولا تأتي إليّ !.
من يشتري صدر المسيح
ويشتري جلد الغزال
ومعسكرات الاعتقال
ديكورَ أُغنية عن الوطن المفتّت في يديّ !.
كان الحديث سدى عن الماضي ،
وكان الأصدقاء
يضعون تاريخ الولادة بين ألياف الشجر
ودّعتُهم ..

فنسيتُ خاصرتي وحنجرتي وميعاد المطر
وتركتُ حول زنودهم قيدي
فصرت بدون زند ، واختصمتُ مع الشجر
والأصدقاء هناك ينتظرون بوليساً
وطوق الياسمين
وأنا أحاول أن أكون
ولا أكون . .

أغنيات حب إلى إفريقيا

— ١ —

هل يأذن الحُرّاس لي بالإنحناءْ
فوق القبور البيض يا إفريقيا ؟
ألقتْ بنا ريح الشمال إليك
واختصر المساء
أسماءنا الأولى . .

وكُنّا عائدين من النهار
بكآبة التنقيب عن تاريخنا الآتي
وكنّا متعبين .
ضاع المغنّي والمحاربُ والطريقَ إلى النهار .
— من أنت ؟
* عصفور يجفّفُ ريشه الدامي
— وكيف دخلتَ ؟
* كان الأفق مفتوحاً
وكان الأوكسجين
ملء الفضاء
— وما تريد الآن ؟

* ريشةَ كبرياء
وأريد أن أرث الحشائش والغناء
فوق القبور البيض . . يا إفريقيا !

— ٢ —

هل يأذن الحراس لي بالاقتراب
من جُثّة الأبنوس . . يا إفريقيا ؟
ألقتْ بنا ريحُ الشمال إليك ،
واختبأ السحابْ

في صدرك العاري ،
ولم تُعلن صواعقُنا حدودَ الاغتراب
والشمسُ بالمجّان مثل الرمل والدم ،
والطريق إلى النهار
يمحو ملامحنا ، ويتركنا نعيد الإنتظار
صَفّاً من الأشجار والموتى . .
نحبّكِ . .
نشتهي الموت المؤقت
نشتهيه ويشتهينا .
نلتفُّ بالمدنِ البعيدة والبحار
نفسّر الأملَ المفاجىء

والرجوعَ إلى المرايا
ـ من أنتَ ؟
* جنديّ يعود من التراب
بهزيمة أُخرى وصورةِ قائدٍ
ـ ماذا تريد؟
* بيتاً لأمعائي ، وطفلاً من حديد
وأُريد صكّ براءتي
وأُريد يا إفريقيا
ـ ماذا تريد ؟
* أريد أن أرث السحاب
من جثّة الأبنوس . . يا إفريقيا !

— ٣ —

القت بنا ريحَ الشمال إليك
يا إفريقيا
ألقتْ بنا ريح الشمال
لنكون عُشّاقاً وقتلى .
وبدون ذاكرةٍ ذكرنا كل شيء عن ملامحنا
ووجهُك فوقَ خارطة الظلال
مرَّ المغني تحت نافذةٍ
وخبّأ صوته في راحتَيه
سرّاً يحبّك ، أو علانيةً يمرْ

وينحني كالقوس . يا إفريقيا
وحشيّتان
عيناك — يا إفريقيا — وحزينتان .
عيناك كالحبّ المفاجيء
كالبراءة حين تُفترعُ البراءة .
مرّ المغني تحت نافذة
وأعلن يأسه
— من أنت ؟
* عاشق
— من أين جئت ؟
* أنا من سُلالات الزنابق والمشانق

والريح تحبل .. ثم تُنجبني
وترميني على كل الجهات
– ماذا تريد ؟
* أريد ميلاداً جديد
وأريد نافذة جديده
لأحبّها سراً وتقتلني علانيةً
وأرحل عنك .. يا إفريقيا !

المدينة المحتلة

ألطفلةُ احترقتْ أمّها
أمامها . .
احترقتْ كالمساءْ .
وعلّموها : يصير اسمها –
في السّنَةَ القادمه –
سيّدَة الشهداءْ
وسوف تأتي إليها

إذا وافق الأنبياء !
ألطفلةُ احترقتْ أمها
أمامها . .
احترقت كالمساء .
من يومها .
لا تحبُّ القمر
ولا الدُّمى
كُلّما
جاء المسا ، صرخت كُلّها :
أنا قتلتُ القمر
لأنه قال لي : . . قال . . قال :

أمّكِ لا تشبه البرتقال
ولا جذوع الشجر
أمّكِ في القبر
لا في السماء .

ألطفلةُ احترقتْ أمها
أمامها
احترقت كالمساء . .

عابر سبيل

بلادي بعيده
تبخّر مني ثراها
إلى داخلي . .
لا أراها .
وأنت بعيده
أراك
كومضة ورد مفاجىء

وفي جسدي رغبةٌ في الغناء
لكلِّ الموانىء .
.. وإني أُحبّكِ
لكنني
لا أُحبُّ الأغاني السريعه
ولا القُبَلَ الخاطفه
وأنت تحبّينها
كبحّارة بائسين ..

أرى عبر زنبقة المائده
وعبر أناملك الشارده

أرى البرق يخطف وجهي القديم
إلى شرفة ضائعه
وأنت تحبّينني –
قلت –
من أجل هذا المساء .

لنرقص إذن ،
أنا الماء والظلّ
والظل والماء لا يعرفان الخيانه
ولا الانكسارْ
ولا يذكران

ولا ينسيان
ولكن . . لماذا ؟
لماذا توقفت الاسطوانه ؟
ومن خَدَشَ الأسطوانه
لماذا تدور على نفسها :
بلادي بعيده
بلادي
بلادي
بلادي

خطوات في الليل

دائماً ،
نسمعُ في الليل خطى مقتربه
ويفرّ البابُ من غرفتنا
دائماً ،
كالسُحُب المغتربه ! .

ظلّكِ الأزرقُ من يسحبُهُ

من سريري كُلّ ليلهْ ؟
ألخطى تأتي ، وعيناك بلاد
وذراعاكِ حصارٌ حول جسمي
والخطى تأتي ،
لماذا يهرب الظل الذي يرسمني
يا شهرزاد ؟
والخطى تأتي ولا تدخلُ
كوني شجرا
لأرى ظلّك
كوني قمرا
لأرى ظلك

كوني خنجرا
لأرى ظلك في ظلّي
ورداً في رماد ! . .

دائماً ،
أسمعُ في الليل خطى مقتربه
وتصيرين منافيَّ
تصيرين سجوني . .
حاولي أن تقتليني
دفعةً واحدة
لا تقتليني
بالخطى المقتربه ! . .

سرحان يشرب القهوة
في الكافتيريا

يجيئون ،
أبوابُنا البحرُ . فاجأنا مطرٌ . لا إله سوى الله . فاجأنا
مطرٌ ورصاصٌ . هنا الأرضُ سُجّادةٌ ، والحقائب
غربهْ ! .
يجيئون ،
فلتترجّلْ كواكبُ تأتي بلا موعد . والظهورُ التي
استندتْ للخناجر مضطرةٌ للسقوط .
وماذا حدث ؟
أنت لا تعرف اليوم . لا لون . لا صوت . لا طعم .
لا شكل . . يولد سرحان ؛ يكبر سرحان ،
يشرب خمراً ويسكرُ . يرسمُ قاتله ، ويمزّق

صورته . ثم يقتله حين يأخذ شكلاً أخيراً .
ويرتاح سرحان .
سرحان ! هل أنتَ قاتل ؟
ويكتب سرحان شيئاً على كُمّ معطفه ، ثمَّ تهرب
ذاكرةٌ من ملفّ الجريمة . . تهرب . . تأخذ
منقار طائر .
وتأكل حبة قمح بمرج بن عامر .
وسرحانُ متّهم بالسكوت . وسرحان قاتل .

* * *

وما كان حُبّاً

يدان تقولانِ شيئاً ، وتنطفئان .
قيودٌ تلدْ
سجون تلد
مناف تلد .
ونَلتفُّ باسمكِ ،
ما كان حُبّاً
يدان تقولان شيئاً . . وتنطفئان .
ونعرف : كُنّا شعوباً . وصرنا حجاره
ونعرف . كنتِ بلاداً وصرت دخان
ونعرف أشياء أكثر
نعرف ، لكنّ كل القيود القديمه

تصير أساور ورد
تصير بكاره
في المنافي الجديده .
ونلتفُّ باسمك
ما كان حُبّاً
يدان تقولان شيئاً وتنطفئان .
وسرحان يكذب حين يقول رضعتُ حليبك ، سرحان
من نسل تذكرة ، وتربّى بمطبخ باخرة لم تلامس
مياهكِ . ما اسمك ؟
– نسيت .
وما اسم أبيك ؟

ـ نسيت .

وأُمك ؟

ـ نسيت .

وهل نمتَ ليلةَ أمس ؟

ـ لقد نمتُ دهراً .

حلمت ؟

ـ كثيراً .

بماذا ؟

ـ بأشياء لم أرها في حياتي .

وصاح بهم فجأة :

ـ لماذا أكلتم خضاراً مُهرّبة من حقول أريحا ؟
ـ لماذا شربتم زيوتاً مهربة من جراح المسيح ؟
وسرحانُ مُتّهم بالشذوذ عن القاعده .

* * *

رأينا أصابعه تستغيث . وكان يقيس السماء بأغلاله .
زرقةُ البحر يزجرها الشرطيُّ ، يعاونه خادم آسيويّ .
بلاد تغيّر سكانها ، والنجوم حصى .
وكان يغنّي : مضى جيلنا وانقضى .
مضى جيلنا وانقضى .

وتناسل فينا الغُزاةُ تكاثر فينا الطغاة . دم كالمياه ،
وليس تجفّفه غير سورة عم وقبعةِ الشرطيّ
وخادمهِ الأسيوي . وكان يقيس الزمان بأغلاله .
سألناه : سرحان عمّ تساءلت .
قال : اذهبوا . فذهبنا
إلى الأمهات اللواتي تزوّجن أعداءنا .
وكنّ ينادين شيئاً شبيهاً بأسمائنا .
فيأتي الصدى حرَساً .
ينادين قمحاً .
فيأتي الصدى حرَساً .
ينادين عدلاً

فيأتي الصدى حرَسَاً
ينادين يافا
فيأتي الصدى حرساً .
ومن يومها ، كفّت الأمهات عن الصلوات . وصرنا
نقيس السماء بأغلالنا
وسرحان يضحك في مطبخ الباخره .
يعانق سائحة ، والطريقُ بعيدٌ عن القدس والناصره
وسرحان مُتّهم بالضياع وبالعدميّه

* * *

وكلّ البلاد بعيدهْ .

شوارعُ أُخرى اختفت من مدينته (أخبرتهُ الأغاني
وعزلتُهُ ليلة العيد أن له غرفة في مكان) .
ورائحة البنّ جغرافيا .
وما شرّدوك . . وما قتلوك .
أبوك احتمى بالنصوص ، وجاء اللصوص .
ولستَ شريـــداً . . ولستَ شهيداً . . وأُمك بـــاعت
ضفائرها للسنابل والأمنيات : (وفوق سواعدنا
فارسٌ لا يسلّم (وشم عميق) . وفوق أصابعنا
كرمةٌ لا تهاجر (وشم عميق) .
خُطى الشهداء تُبيدُ الغزاة

نشيد قديم)

ونافذتان على البحر ما وطني تحذفان المنافي . . وأرجع
(حلم قديم ـــ جديد)
شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني
وعزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان) .
ورائحةُ البُنّ جغرافيا .
ورائحة البن يدٌ
ورائحة البن صوت ينادي . . ويأخذ . .
رائحة البن صوت ومئذنة (ذات يوم تعود) .
ورائحة البن ناي تزغرد فيه مياه المزاريب . ينكمش
الماء يوماً ويبقى الصدى .
وسرحان يحمل أرصفة ونوادي ومكتب حجز التذاكر

سرحان يعرف أكثر من لغة وفتاة . ويحمل تأشيرة
لدخول المحيط وتأشيرة للخروج . ولكن سرحان
قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها .. وسرحان
قطرة دم تفتّش عن جثة نسيتها . وأين ؟
ولست شريداً .. ولست شهيداً .
ورائحة البن جغرافيا
وسرحان يشرب قهوته ..
ويضيع .

* * *

هنا القدس .

يا امرأة من حليب البلابل ، كيف أعانق ظلّي . .
وأبقى ؟
خُلقتَ هنا . وتنامُ هناك .
مدينته لا تنام . وأسماؤها لا تدوم . بيوت تغيّر
سكانها . والنجوم حصى .
وخمس نوافذ أخرى ، وعشر نوافذ أخرى تغادر
حائط
وتسكن ذاكرة . . والسفينة تمضي .
وسرحان يرسم شكلاً ويحذفه : طائرات وربّ قديم
ونابالم يحرق وجهاً ونافذة . . ويؤلف دوله .
هنا القدس .

يا امرأة من حليب البلابل : كيف أعانق ظلي . .
وأبقى ؟
ولا ظلّ للغرباء .
مساءٌ يرافقهم ، والمساء بعيد عن الأمهات قريب من
الذكريات . وسرحان لا يقرأ الصحف العربية . .
لا يعرف المهرجانات والتوصيات . فكيف إذن
جاءه الحزن . . كيف تقيّأ ؟
وما القدس والمدن الضائعه
سوى ناقة تمتطيها البداوهْ
إلى السلطة الجائعه .
وما القدس والمدن الضائعه

سوى منبر للخطابه .
ومستودعٍ للكآبه .
وما القدس إلاّ زجاجة خمر وصندوق تبغ . . .
. . . ولكنها وطني .
من الصعب أن تعزلوا
عصير الفواكه عن كريات دمي .
ولكنها وطني
من الصعب أن تجدوا فارقاً واحداً
بين حقل الذره
وبين تجاعيد كفّي
ولكنها وطني . .

لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكره
وبين المساء الذي يسكن الكرملا
ولكنها وطني .
في الحقيقة والدم متّسع للجميع . .
وخط الطباشير لا يكسر المطر المقبلا
هنا القدس . .
كيف تعانق حريتي – في الأغاني عبوديتي ،
وسرحان يرسم صدراً ويسكنه
وسرحان يبكي بلا ثمن ووسام
ويشرب قهوته . . ويضيع

* * *

يمزق غيماً ، ويرسله في اتجاه الرياح . وماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة . لا بُدَّ من تربة صالحه .
أتذهب صيحاتنا عبثاً ؟
أكلتَ . . شربتَ . . ونمتَ . حلمت كثيراً . أفقتْ
تعلمت تصريف فعل جديد . هل الفعل معنى بآنية
الصوت . . أم حركه ؟
وتكتب ض . ظ . ق . ص . ع . وتهرب منها . لأن
هدير المحيطات فيها ولا شيء فيها . ضجيج الفراغ
حروف تميزنا عن سوانا — طلعنا عليهم طلوع
المنون — فكانوا هباء وكانوا سدًى . سدًى نحن .
هم يحرثون طفولتنا ويصكون أسلحة من أساطير .

أعلامهم لا تغني . وأعلامنا تجهضُ الرعد .
نقصفهم بالحروف السمينة : ض . ظ . ص .
ق . ع . ثم نقول انتصرنا . وما الأرض ؟ ما قيمة
الأرض ؟ أتربة ووحول . نقاتل أو لا نقاتل ؟
ليس مهماً ذلك ما دامت الثورة العربية محفوظة
في الأناشيد والعيد والبنك والبرلمان .
وتعرف أن الغزاة عصيّ بأيدي المماليك . تكتب
ض . ظ . ق . ص . ع .
تمزق غيماً وترسله في اتجاه الرياح . وماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة . لا بد من تربة صالحه .
وتمضي السفينة. تبقى غريباً . جراحك مطبعة للبلاغات

والتوصيات . وباسمك تنتصر الأبجدية ، باسمك
يجلس عيسى إلى مكتب ويوقع صفقة خمر وأقمشة
ويحيي العساكر باسمك . باسمك تُحفظ في خيمة
وتُعلّب في خيمة . لا هوية إلاّ الخيام . إذا
احترقت . . ضاع منك الوطن .

وباسمك تأتي وتذهب . باسمك حطّين تصبح مزرعة
للحشيش ، وثوّارك السابقون سعاة بريد . وباسمك
لا شيء . يأتي القضاة . يقولون للطين كن جبلاً
شامخاً فيكون . يقولون للترعة انتفخي أنهراً فتكون
وتكتب ض . ظ . ص . ع . ق .
تُمزّق غيماً وترسله في اتجاه الرياح . ومـــاذا ؟

هنالك غيم شديد الخصوبة . لا بدّ من تربةٍ صالحه
أتذهب صيحاتنا عبثاً ؟
وليست خيامك ورد الرياح . وليست مظلات شاطىء.
تَدجّجْ بأعمدة الخيمة . احترقي يا هويّتنا — صاح
لاجىء وسرحان يشرب قهوته . للجليل مزايا كثيرة.
ويحلم ، يحلم ، يحلم . . آه — الجليل !

* * *

ومن كفَّ يوماً عن الإحتراق
أعارَ أصابعه للضماد

وصرّح للصحفيّ وللعدسات :
جريح أنا يا رفاق
ونال وساماً .. وعاد .

وسرحانُ ،
ما قال جرحي قنديل زيت وما قال ..
صدري شبّاك بيت وما قال ..
جلدي سجّادة للوطن .
وما قال شيئاً .
أتذهب صيحاتنا عبثاً ؟
كل يوم نموت ، وتحترق الخطوات وتولد عنقاء

ناقصة ، ثم نحيا لنُقتل ثانيةً .
يا بلادي ، نجيئك أسرى وقتلى .
وسرحان كان أسير الحروب ، وكان أسير السلام .
على حائط السّبْي يقرأ أنباء ثورته خلف ساق مغنّية
والحياةُ طبيعيّة . والحضار مهرّبة من جباه العبيدً
إلى الخطباء . وما الفرق بين الحجارة والشهداء ؟
وسرحان كان طعام الحروب ، وكان طعام السلام .
على حائط السّبي تعرض جثّته للمزاد . وفي المهجر
العربي يقولون : ما الفرق بين الغزاة وبين الطغاة ؟
وسرحان كان قتيل الحروب ، وكان قتيل السلام .
على حائط السّبي يصطدم العلم الوطني بأحذية الحرس

الملكي . وحربك حربان . حربك حربان .
سرحان ! لا شيء يبقى ، ولا شيء يمضي . اغتربتَ..
لجأتَ . . عرفت . ولست شريداً ولست شهيداً .
خيامك طارت شراره .
وفي الريح متّسعٌ
هل قَتَلت ؟
ويسكتُ سرحان . يشرب قهوته ويضيع . ويرسم
خارطة لا حدود لها . ويقيس الحقول بأغلاله .
– هل قتلت ؟
وسرحان لا يتكلم . يرسم صورةَ قاتله من جديد ،
يمزّقها ، ثم يقتلها حين تأخذ شكلاً أخيراً . .

ـ قتلت ؟

ويكتب سرحان شيئاً على كُمِّ معطفه ، ثم تهرب
ذاكرة من ملفّ الجريمة . . تهرب . . تأخذ منقار
طائر .

وتزرع قطرة دم ببرج بن عامر .



محاولة رقم ٧

كأني أحبك

لماذا نحاول هذا السفر
وقد جرّدتْني من البحر عيناكِ
واشتعل الرمل فينا . . .
لماذا نحاولُ ؟
والكلماتُ التي لم نقلها
تُشرّدنا . . .
وكل البلاد مرايا
وكل المرايا حجرْ

لماذا نحاول هذا السفرْ ؟

هنا قتلوكِ
هنا قتلوني .
هنا كنتِ شاهدةَ النهر والملحمهْ
ولا يسأمُ النهرُ
لا يتكلّمُ
لا يتألّمُ
في كلّ يوم لنا جُثّةٌ
وفي كُلّ يوم لهم أوسمهْ
هنا وقف النهر ما بيننا

حارساً
يجعل الضفتينْ
توأمين
بعيدين ، كالقُرب ، عنّا
قريبين ، كالبُعد ، منّا
ولا بُدّ من حارسٍ
آه ، لا بُدّ من حارس بيننا .
كأنّ المياهَ التي تفصل الضفتين
دمُ الجسدينْ .
وكنّا هنا ضفتين
وكنّا هنا جسدين

وكلّ البلاد مرايا
وكلّ المرايا حجرْ
لماذا نحاول هذا السفرْ ؟

كأنّ الجبال اختفتْ كلّها
وكأنّي أحبّكِ
كان المطارُ الفرنسيّ مزدحمْ
بالبضائع والناسِ .
كُلّ البضائع شرعيّة
ما عدا جسدي
آه . . يا خلف عينيك . . يا بلدي

كنتُ ملتحماً

بالوراء الذي يتقدّمُ

ضيّعْتُ سيفي الدمشقيّ مُتّهما

بالدفاع عن الطينِ

ليس لسيفيَ رأيٌ بأصلِ الخلافةِ

فاتّهموني . . .

علّقوني على البُرجِ

وانصرفوا

لترميم قصر الضيافة . .

كأنّي أحبك حقاً

فأغمدتُ ريحاً بخاصرتي
كنتِ أنت الرياحَ وكنتِ الجناح
وفتشتُ عنك السماء البعيده
وقد كنتُ أستأجر الحُلْمَ
ـ للحلم شكلٌ يُقلّدها ـ
وكنتُ أغنّي سدى
لحصان على شجرْ .
وفي آخر الأرضِ أرجعَني البحرُ
كُلّ البلاد مرايا
وكل المرايا حجرْ
لماذا نحاول هذا السفرْ ؟

تكونين أقربَ من شفتيّ
وأبعدَ من قُبلة لا تصلْ
كأنّي أحبّكِ
كان الرحيلُ يطاردني في شوارع جسمكْ
وكان الرحيل يحاصرني في أزقّة جسمك
فأتركُ صمتي على شفتيك
وأترك صوتي على درج المشنقهْ
كأني أحبكِ
كان الرحيل يخبّئني في جزائر جسمك
— واسعٌ ضيقُ هذا المدى —
والرحيل يخبّئني في فم الزنبقهْ .

أعيدي صياغةَ وقتي
لأعرف أين أموت سدى
– مرّ يومٌ بلا شهداءْ –
أعيدي صياغة صوتي
فإنّ المغنّي الذي ترسم الفتياتُ له صورةً
صادروا صوته
– مرّ يومٌ بلا شعراءْ –
وبين الفراغين أمشي إليكِ وفيكِ
وأولدُ من نُطفةٍ لا أراها
وألعبُ في جُثّتيَّ والقمرْ

لماذا نحاول هذا السفرْ ؟
وكل البلاد مرايا
وكل المرايا حجرْ
لماذا نحاول هذا السفر ؟



النزول من الكرمل

ليومٍ يحدّدني موعداً ، قلتُ للكرمل : الآن أمضي .
وينتشر البحر بين السماء ومدخلِ جرحي
وأذهبُ في أفُقٍ ينحني فوقنا ، ويُصلّي
لنا . أو يكسّرنا . هذه الأرض تشبهنا
حين نأتي إليها . وتشبهنا حين نذهب عنها .
تركتُ ورائي ملامحها . واسمُها كان يمشيَ أمامي
يُسمّي ملامحَها وانفجاري . تركتُ سرير الولاده

تركتُ ضريحاً مُعدّاً لأيّ كلام . .
تركتُ التي أوجعَتْها ذراعي . تركت التي أوجعتني يداها .
تُفتّش عن عاشق بعد خمس دقائق من هجرتي .

ليومٍ يحدّدني موعداً . قلتُ للكرمل : الآن أمضي
تمرّ الرصاصةُ فوق جبيني ، وتجمعني مثلما تجمع القبلةُ الشفتينْ
وتولدُ رمّانةٌ في الصخور التي دجّنتْني . وتجعلني عاشقين
بعيداً . . بعيداً .
وينتشر البحر بين السماء ومدخل جرحي

تخيّلتُ أنكَ مُتّكئي
وسئمتُ العلاقة بين المسامير والخشبَة
وحين ترجّلتُ عن قمّة الرمح والجرح أمسكتُ بـ
فكان حذاءَ الحرسْ
يكملّني هابطاً هابطاً . .

منذ ذاك النهار المبكّر أبحث عن موطىء القدمين
وأتبعُ نهراً ، ولا أتبع الموجَ .
هل استردّ زفيري . !

يُقاسمُني عسكريٌّ جراحي

ويحرسها كي ينال وساماً
ويمنعني من مواصلة الموتِ . يأخذ نصف جراحي
ويترك نصفاً لأمن الأممْ .
يهزّ أصابع كفّي
فتسقط ذكرى .
رصاصٌ قديم ،
صنوبرةٌ ،
تمر فاسدٌ ،
تهمةٌ ،
أسئلهْ
يفتّشُ كفّيَ ثانيةً . فيصادر حيفا التي هرّبتْ سُنْبلهْ

ويا أيها الكرملُ ،
الآن تقرع أجراس كل الكنائسْ
وتعلن أنّ مماتي الموقّت لا ينتهي دائماً ، أو ينتهي مر .
أيها الكرمل ، الآن تأتي إليك العصافيرُ من ورق .
كنتَ لا فرق بين الحصى والعصافيرِ ،
والآن بَعْثُ المسيح يُؤجّل ثانيةً .
أيها الكرمل ، الآن تبدأ عطلةُ كل المدارس .
وتُنشدني الآن فيروز .
والآن نأخذ أنبوبةً من حبوبٍ تُسيل الدموع ،
فنبكي على جبل طائرٍ .
أيها الكرمل . الآن يجعلني ضابط آخرٌ عرضة للخلود !

بَعُدنا عن الشجرِ . البحرُ فاصلةٌ بيننا
وها نحن بين الطهارة والإثم شيئان يلتحمان وينفصلان
كأنّ الأحبّة دائرةٌ من طباشيرَ
قابلةٌ للفناء وقابلة للبقاء .
وها نحن نحمل ميلادنا مثلما تحمل المرأةُ العاقرُ الحُلُما
وها أنتَ مئذنة الله حيناً
وقُبّعةَ لجنود المظلاّت حيناً
وها أنتَ يا كرملي كُلّما
جرّدتني الحروبُ من الأرض أعطيتَني حُلُماً .
وها أنا أعلن أن الزمان تغيّرَ :
كانت صنوبرةٌ تجعل الله أقربْ

وكانت صنوبرة تجعل الجرح كوكب
وكانت صنوبرة تُنجب الأنبياءْ
وتجعلني خادماً فيهمُ
أيها الكرمل المتشعّب في كل جسمي
لماذا تحمّلني كل هذي المسافاتِ
والبحرُ فاصلةٌ بيننا ؟.

أوقَفَتْني فتاةٌ معبّأة بالدوالي
وكانت تغنّي على طُرُق الشامِ :
يا ليت دالية واحدة
لم تسافر معي .. فأعود إليها

قبّلتني فتاةٌ لأني لفظت اسم كرملها في مُكَبّر صوت ،
فجاءت إلى فندقي لتقول «أحبّك» . والتجأتْ
لاسمه في ذراعي .
– وماذا يقول الجبلْ ؟
* بكى قصبٌ في الغدير
وكان الغدير مرايا
فلم ينطق الجبلُ
– وهل رحلوا ؟
* تصبّبتِ الريحُ من جبهتي
فمسحتُ الرياحَ كما تمسحين العرقْ . . .
تذكّرتُ أني نهضت صباحاً

وكانت شهادةُ ميلاد أمّيَ قابلة للنقاش
وكانت أناشيد أهلي العربْ
تُرَتّبُ أمتعة اللاجئين ،
وتبني جسور العبور ،
وصارت فلسطين أقربَ ،
فاختلف اللاجئون على موسم القمح والبرتقان .

أوقفتني فتاةٌ معبّأةٌ بالدوالي
وكانت تغنّي على طُرُق الشام :
يا ليت دالية واحده
لم تسافر معي . . . فأعود إليها

وسافرتُ ـ
يا أيها الكرملُ ، البحرُ ، والعشبُ ، والنارُ
يا صخرة الفرح العائمه
وصمّمتُ جلدي قميصاً لأخفيَ آثار طعنتك النادمه
فأنكرَني العسكريُّ
وكنتُ على باب أمي هناك أنادي دمشقْ
فتسمع نبض دمي في حفيف صنوبركَ المبتعدْ
وتغسلني دجلةُ الخير حين أموت من الوجد شوقاً إلى
آرض بابل .
وها أنذا الآن
حين دخلتُ إلى الجامع الأمويَ تساءل أهل دمشق :

مَنِ العاشقُ المغتربْ ؟
وكانت مياه الفرات ونافورة النيل تحذف آثار زنزانتي
عن ضلوعي .
وحين وقفتُ على النيل يوماً ، وشاطىء دجلة يوماً
تساءل كل الذين رأوا دهشتي
مَن السائحُ المغتربْ ؟ !

تركتُ الحبيبة — لم أنسها — في غروب الشجرْ
تطرّز من زَبَد البحر منديلها وضمادي
توهّمتُ أنّ السموات أبعدُ من يدها عن جبيني
وأوهمتُها أن قلبي يصلْ

وأنَّ يدي تنتقل
إلى جُثّة ضائعه

تركتُ الحبيبة – لم أنسها – عند سفح الجبل
تُعير العصافيرَ ألوانها
وكانت يداها ينابيعَ من كلّ لونٍ وما اشتُقَّ منه
ولكنني كنتُ أشعر أن الينابيع كانت معرّضة للجفاف
وأنَّ فمي ينتقل
إلى لُغَة ثانيه

تركتُ الحبيبة لم أنسها
تركت الحبيبة

تركت . . .

أحبّ البلاد التي سأحبْ
أحب النساء اللواتي أحبْ
ولكن غصناً من السرو في الكرمل الملتهبْ
يُعادل كل خصور النساء
وكلّ العواصم

أحبّ البحار التي سأحبُّ
أحب الحقول التي سأحبُّ
ولكنّ قطرةَ ماءٍ على ريشِ قُبّرَةٍ في حجارة حيفا
تعادل كل البحار

وتغسلني من ذنوبي التي سوف أرتكبُ

أدْخِلُوني إلى الجنّة الضائعه
سأطلق صرخةَ ناظم حكمت :
آه ... يا وطني !...

الخروج من ساحل المتوسط



— ١ —

سيلٌ من الأشجار في صدري
أتيت . . . أتيتُ
سيروا في شوارع ساعدي تَصِلوا .

وغزةُ لا تصلّي حين تشتعلُ الجراح على مآذنها ،

وينتقل الصباح إلى موانئها : ويكتمل الردى فيها .

أتيتُ . . . أتيتُ
قلبي صالحٌ للشربِ
سيروا في شوارع ساعدي تَصِلوا .
وغزةُ لا تبيع البرتقال لأنه دمُها المعلّبُ .
كنتُ أهرب من أزقّتها .
وأكتبُ باسمها موتي على جمّيزةٍ ،
فتصيرُ سيّدةً وتحمل بي فتىً حراً .

فسبحان التي أسْرَتْ بأوردتي إلى يدها ! .

أتيتُ . . . أتيتُ
غـزَّةُ لا تصلّي .
لم أجد أحداً على جرحي سوى فمها الصغيرِ . . .
وساحلُ المتوسط اخترق الأبد . .

— ٢ —

لا توقفوني عن نزيفي !
ساعةُ الميلاد قلّدَتِ الزّمانَ ، وحاولَتْني
كنتُ صعباً — حاولتْني

كنتُ شعباً – حاولتني مرة أخرى . .
أرى صفاً من الشهداء يندفعون نحوي ، ثم يختبئون في
صدري ويحترقون .

ما فتَكَ الزمانُ بهم ، فليس لجثتي حدّ . ولكني
أحسّ كأن كلّ معارك العرب انتهتْ في جثتي ،
وأودّ لو تتمزق الأيام في لحمي ويهجرني الزمان ،
فيهدأ الشهداءُ في صدري ويتفقون .

ما ضاق المكانُ بهم . فليس لجثتي حدّ . ولكنّ
الخلافة حَصنَتْ سور المدينة بالهزيمةِ . والهزيمةُ

جدّدتْ عمر الخلافة .
لا توقفوني عن نزيفي
ساعةُ الميلاد قلّدت الزمان وحاولتني
كنتُ صعباً — حاولتني مرة أخرى
أرى صفاً من الشهداء يندفعون نحوي
لا أحدْ ! .

— ٣ —

وتقاسمتْني هذه الأممُ القريبةُ والبعيدةُ .

كلّ قاضٍ كان جزّاراً
درّج في النبوءة والخطيئةِ
واختلفنا حين صار الكل في جزءٍ ،
صار الجرحُ وردتَنا جميعاً
ابتعدنا . . .
ذهبْ إلى الموت الجميلِ —
ذهبتُ .
وحدي كنتُ
لتم : نحن ننتظر الجنازة بالأكاليل الكبيرة والطبولِ ،
ونلتقي في القدسِ . . .
ستَ القدس أبعدُ من توابيتي لأتّهم الشهودَ

وما عليك ! ذهبتَ للموت الجميل
ومدينةُ البترول تحجز مقعداً في جنة الرحمن – قلتم لي .
وطوبى للممول والمؤذّن . . . والشهيد !

– ٤ –

تَعِبَ الرثاءُ من الضحايا
والضحايا جَمَدتْ أحزانها
أوَاه ! مَنْ يرثي المراثي ؟
لستُ أدري أيَ قافية تحنّطني ، فأصبح صورة في معرض

الكتب القريب .
ولستُ أدري أيّ إحصائيّة ستضمّني . . .
يا أيها الشعراء . . . لا تتكاثروا !
ليست جراحي دفتراً .
يا أيها الزعماء . . . لا تتكاثروا !
ليست عظامي منبراً .
فدعوا دمي — حبرَ التفاهم بين أشياء الطبيعة والإله
ودعوا دمي — لغة التخاطب بين أسوار المدينة والغزاة .
دمي بريدُ الأنبياء .

— ٥ —

وأعود من تلقاء نفسي . . .
ليت شُبّاكي بعيد كي أرى أمي
وليت القيد أقرب كي أحسّ النبض في زندي
وليت البحر أبعد كي أخاف من الصحاري
آهِ ، ليت الشيء عكس الشيء كي تتآكل الأشياء في
نفسي ، وتأخذَ صيغة الفرح الحقيقيّ .
ابتعدنا واقتربنا وابتعدنا
يا أهالي الكهف قوموا واصلبوني من جديد
إنني آتٍ من الموت الذي يأتي غداً

آت من الشجر البعيدِ
وذاهبٌ في حاضري – غدٍ كم .
أنا قشّرتُ موجَ البحر زنبقةً لغزة . .

– ٦ –

سيلٌ من الأشجارِ يخرج من ضلوع الصخر – يصقلني الفناءُ
وجدولٌ يمتد من صدري عموديّاً – وتنحدر السماءُ
رأيتُ رأي القلب – ذوّبني الضياءُ

فصرت صوتاً . والحصى صار الصدى
وتنفّس القبرُ القديمُ . .
تحرّكَ الحجرُ . . استردَّ دبيبَهُ منكم
أنا الأحياء والمدن القديمةُ
حاولوا أن تخلعوا أسماءكم تجدوا يديّ .
وحاولوا أن تنزعوا أثوابكم تجدوا دمي ،
أو حاولوا أن تحرقوا هذي الخرائط تبصروا جسدي -
أنا الأحياء والوطن الذي كتبوهُ في تاريخكم . .
من جثتي بدأ الغزاةُ ، الأنبياءُ ، اللاجئون -
والآن يختتمون سيرتهم لأبدأ من جديد .

— ٧ —

تتحرّك الأحجار .
هذا ساعدي متمايل كالرعب
ليس الربّ من سكّان هذا القفرِ
هذا ساعدي .
تتحركُ الأحجارُ .
ما سرقوا عصا موسى .
وإنّ البحر أبعدُ من يدي عنكم
إذن ، تتحرّك الأحجارُ
إن طلعوا وإن ركعوا ، وإن مرّوا وإن فرّوا

أنا الحجرُ . .
أنا الحجرُ الذي مسّتْهُ زلزلةٌ .
رأيتُ الأنبياء يؤجّرون صليبهم
واستأجرتْني آيةُ الكرسيّ دهراً، ثم صرت بطاقةً للتهنئات
تغيّر الشهداءُ والدنيا
وهذا ساعدي .
تتحرك الأحجارُ
فالتفّوا على أسطورةٍ
لن تفهموني دون معجزةٍ
لأن لغاتكم مفهومَةٌ .
إن الوضوح جريمةٌ .

وغموض موتاكم هو الحقّ – الحقيقةُ .
آه ، لا تتحرك الأحجار إلاّ حين لا يتحرك الأحياء
فالتفّوا على أسطورتي !

– ٨ –

لن تفهموني
تخرج العذراءُ من ضلعي
تكون مشيئتي
وأصابُ بالأمطار والبرق الذي أدمتهُ

لن تفهموني
ناهضاً من قبركم
والأرضُ للشهداءِ —
أنهيتُ المغامرة الأخيرة وابتدأتُ :
هنا الخروج . هنا الدخولُ
هنا الذهاب . هنا الإيابُ
ولا مكان هنا
أنا الزمن الذي لن تفهموني خارجَ الزمن الذي ألقى
بكم في الكهفِ —
هذي ساعتي :
ينشقّ قبرٌ ثم أنهض صارخاً :

لا توقفوني عن نزيفي
لحظةُ الميلاد تسكنُني من الأزلِ ، استريحوا في جراحي —
ها هو الوطن الذي يتجدّدُ ،
الوطن الذي يتمجّدُ ،
اقتربوا من الأشجار وابتدئوا معي !

— ٩ —

في غزةَ اختلفَ الزمان مع المكانِ
وباعةُ الأسماك باعوا فرصةَ الأَمل الوحيد ليغسلوا

قدميّ

أين المجدلية ؟

ذابتْ أصابعها مع الصابون

وانهمرت كتاباتٍ كتاباتٍ

وكان الجندُ ينتصرونَ ينتصرونَ

كانوا يقرأون صلاتها

ويفتّشون أظافرَ القدمين والكفين عن فرحٍ فدائيّ ،

وكانوا يُلحقون حياتها

بدموعِ هاجرَ . كانت الصحراء جالسةً على جلدي .

وأولُ دمعة في الأرض كانت دمعةً عربية .

هل تذكرون دموع هاجر — أولِ امرأةٍ بكتْ في

هجرة لا تنتهي ؟

يا هاجَرُ ، احتفلي بهجرتي الجديدةِ من ضلوع القبر
حتّى الكون أنهضُ
يسكنُ الشهداءُ أضلاعي الطليقةَ
ثمّ امتشق القبورَ وساحلَ المتوسطِ
احتفلي بهجرتيَ الجديدهْ .

النهر غريب وأنت حبيبي

الغريبُ النهرُ ــ قالتْ
واستعدّتْ للغناءْ .
لم نحاول لغة الحبّ ، ولم نذهب إلى النهر سدى
وأتاني الليلُ من منديلها
لم يأت ليلٌ مثل هذا الليل من قبل فقدَّمتْ دمي للانبياء
ليموتوا بدلاً منا . .
ونبقى ساعة فوق رصيف الغرباء

واستعدّتْ للغناء .

وحدنا في لحظة العُشّاقِ
أزهار على الماءِ
وأقدام على الماء
إلى أين سنذهبْ ؟
للغزال الريحُ والرمحُ . أنا السكّين والجرحُ .
إلى أين سنذهب ؟
ها هي الحريّةُ الحسناءُ في شرياني المقطوع ،
عيناكِ وبلدانٌ على النافذة الصغرى
ويا عصفورة النار ، إلى أين سنذهبْ ؟

للغزال الريحُ والرمحُ .
وللشاعر يأتي زَمَنٌ أعلى من الماء ، وأدنى من حبال
الشَّنْقِ .
يا عصفورة المنفى ! إلى أين سنذهبْ ؟
لم أودّعك . فقد ودّعتُ سطح الكرة الأرضيّةِ الآنَ . .
معي أنت لقاء دائمٌ بين وداع ووداع .
ها أنا أشهدُ أن الحب مثل الموتِ
يأتي حين لا ننتظر الحبَّ .
فلا تنتظريني . . .

الغريبُ النهرُ — قالتْ

واستعدّتْ للسّفَرْ .
الجهاتُ الكُلّ لا تعرف عن « جانا »
سوى أنّ المطرْ
لم يُبَلّلها .
ولا تعرف عنها
غير أني قد تغيّرتُ تغيّرتُ
تَصَبّبْتُ بروقاً وشجرْ
وأسرتُ السندبادْ .
والغريبُ النهر ـ قالت
ها هو الشيء الذي نَسْكُتُ
قد صار بلادْ

ها هيَ الأرض التي نسكُنُ
قد صارت سفر .
والغريبُ النهرُ — قالت
واستعدّتْ للسفر .

وحدنا لا ندخل الليلَ
لماذا يتمنّى جسمُكِ الشّعرَ
وزهرَ اللوتس الأبعدَ من قبري
لماذا تحلمين
بمزيدٍ من عيون الشهداءِ ؟
اقتربي مني يزيدوا واحداً

«خبزي كفاف البرهة الأولى» . .
وأمضي نحو وقتي وصليب الآخرين .
وحدنا لا ندخل الليل سدى ،
يا أيها الجسم الذي يختصرُ الأرض .
ويا أيتها الأرض التي تأخذ شكل الجَسَد الروحيَ
كوني لأكونْ .
حاولي أن ترسميني قمراً
ينحدرِ الليلُ إلى الغابات خيلاً
حاولي أن ترسميني حجراً
تمض المسافاتُ إلى بيتيَ خيلاً
فلماذا تحلمين

بمزيدٍ من وجود الشهداء .
ابتعدي عنّي يصيروا أمّةً في واحد . . .
هل تحرقين الريح في خاصرتي ؟
أم تمتشقين الشمس ؟
أم تنتحرينْ ؟
علّمتني هذه الدنيا لغات وبلاداً غير ما ترسمه عيناكِ .
لا أفهم شيئاً منكِ . لا أفهمُني جانا .
فلا تنتظريني ! . .

الغريب النهرُ — قالتْ
واستعدّتْ للبكاءْ .

لم تكن أجملَ من خادمة المقهى
ولا أقربَ من أمّي
ولكنّ المساءْ
كان قطّاً بين كفّيها
وكان الأفُقُ الواسع يأتي من زجاج النافذهْ
لاجئاً في ظلّ عينيها
وكان الغرباءْ
يملأون الظلّ
لن أمضي إلى النهر سدى .
إذهبي في الحلم يا جانا !
بكتْ جانا

وكان الوقتُ يرميني على ساعة ماءْ .
إذهبي في الوقت يا جانا !
بكت جانا
وكان الحُلْم ذرّاتِ هواءْ .
إذهبي في الفَرَح الأوّلِ يا جانا !
بكت جانا
وكان الجرحُ وردَ الشهداءْ .

آه ، جانا
لم تكوني مُدُني
أو وطني

أو زمني
كي أوقف النهر الذي يجرفني
فلماذا تدخلين الآن جسمي
لتصيري النهرَ أو سيّدةَ النهرِ
لماذا تخرجين الآنَ من جسمي
ومن أجلك جدّدتُ الإقامه
فوق هذي الأرض . . جدّدت الإقامه ؟
إذهبي في الحُلْم يا جانا !
بكتْ جانا
وصار النهرُ زنّاراً على خاصرتي .
واختفى شكل السماء . .

تأملات في لوحة غائبة

كأني على موعد دائم معها
ها هي الأرض تُكمل دورتَها
ها هو الوقتُ يُثمر تفاحةً
نلتقي ؟
لمْ أجد غيرها امرأةً ذاهبهْ
لم أجد غيرها خنجراً قادماً .
كأنّ خطاها مفاجأةُ الموتِ

تأتي مفاجئةً
وكأني على موعدٍ دائم معها

تأخّرتِ . .
أسرعتِ . .
إن فراغكِ ممتلىء قمراً
أحبّك ، أَم أتنفّسُ ؟
أنتَظِرُ الشّفتين ، أمِ الصاعقهْ ؟
لجسمكِ صوتٌ يذكّرني بالولادةِ
حين أموتُ
(ومن عادتي أن أموت كثيراً)

تأخرتِ ..
أسرعتِ ..
كالصاعقهْ !

... وأكتبُ عنك بلاداً
ويحتلّها الآخرون
وأرسمُ فيك جواداً
ويسرقه الآخرون
وأكتبُ
أرسمُ ..
كان ذراعاك فاتحةَ الحزن والزهر

كنتُ أعود إلى الأرضِ
كنتُ
أصاهر في كفّك الحجرا
وكان فراغُكِ ممتلئاً قمرا

كأني على موعد دائم معها
ها هي الأرض تكمل دورتها
ها هو الوقت يُثمر تفاحةً .
وللوقت كفّ تداعبني
مرةً ،
وتقتلني

مرة ،
أيها الوقت كن يدها كي أراك
أيها
الوقت
كن
يدها
كي أراها . .

بين حلمي وبين ا همه

كان موتي بطيئا

باسمها أتراجَعَ عن حلمها . ووصلتُ أخيراً إلى
الحُلْم . كان الخريفُ قريباً من العشب . ضاع
اسمُها بيننا .. فالتقينا .

لم أسجّل تفاصيل هذا اللقاء السريعِ . أحاول شرحَ
القصيدةِ كي أفهم الآن ذاك اللقاء السريع .
هي : الشيءُ أو ضدّهُ ، وانفجارات روحي
هي : الماءُ والنار . كنا على البحر نمشي .

هي الفرقُ بيني . . . وبيني .
وأنا حاملُ الإسم أو شاعر الحُلْم . كان اللقاء سريعاً .
أنا الفرقُ بين الأصابع والكفّ . كان الربيع
قصيراً . أنا الفرقُ بين الغصون وبين الشجرْ .

كنتُ أحلُمُها . واسمُها يتضاءلُ . كانت تُسمّي
خلايا دمي . كنتُ أحلمها
والتقينا أخيراً .
أحاول شرح القصيدة كي أفهم الآن ماذا حدث . .

ـ يحمل الحُلْم سيفاً ويقتل شاعرَهُ حين يبلغهُ ـ

هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن حاضراً
لم أكن غائباً
كنتُ بين الحضور وبين الغيابْ
حَجَراً . . . أو سحابه

ـ تُشبهين الكآبةَ
قلت لها باختصار شديد
تشبهين الكآبهْ
ولكنّ صدرك صار مظاهرة العائدين من الموتِ . .
ما كنتُ جنديّ هذا المكان

وثوريَّ هذا الزمان
لأحمل لافتةً ، أو عصا ، في الشوارعِ .
كان لقائي قصيراً
وكان وداعي سريعاً .
وكانت تصيرُ إلى امرأةٍ عاطفيه
فالتحمتُ بها
وحلمتُ بها
وصارت تفاصيلها وَرَقاً في الخريفِ
فلملمها عسكريّ المرور
ورتّبها في ملف الحكومه
وفي المتحف الوطنيّ

ـ تشبهين المدينةَ حين أكون غريباً
قلت لها باختصار شديد
تشبهين المدينهْ .
هل رآك الجنود على حافةِ الأرض
هل هربوا منكِ
أم رجموكِ بقنبلة يدويه ؟

قالتِ المرأةَ العاطفيـَه :
كلّ شيء يلامس جسمي
يتَحَوّلُ
أو يتشكّلُ

حتّى الحجارة تغدو عصافير .
قلت لها باكياً :
ولماذا أنا
أتشرّدُ
أو أتبدّدُ
بين الرياح وبين الشعوب ؟
فأجابت :
في الخريف تعود العصافير من حالة البحرِ
ـــ هذا هو الوقتُ
ـــ لا وقت
وابتدأتْ أغنيهْ :

في الخريف تعود العصافير من حالة البحر
هذا هو الوقتُ ، لا وقتَ للوقتِ
هذا هو الوقتُ
ــ ماذا تكون البقيّهْ ؟
ــ شبه دائرة أنتَ تُكملها
ــ أذهبُ الآن ؟
ــ لا تذهب الآن . إنّ الرياح على خطأ دائماً .
والمدينةُ أقربْ .
ــ المدينةُ أقربُ ! ! أنتِ المدينةُ
ــ لستُ مدينهْ
أنا امرأةٌ عاطفيه

هكذا قلتَ قبل قليلْ
واكتشفتَ الدليل
وأنت البقيّه
ـ آه ، كنتُ الضحيّه
فكيف أكون الدليل ؟
وكنتُ أعانقها . كنت أسألها نازفاً :
أأنتِ بعيدهْ ؟
ـ على بُعْدِ حُلْم من الآن
والحُلْمُ يحملَ سيفاً . ويقتل شاعره حين يبلغهْ
ـ كيف أكمل أغنيتي
والتفاصيل ضاعت . وضاع الدليل ؟

ـ انتهتْ صورتي
فابتدىء من ضياعك .

أموتُ ـ أحبّكِ
إنّ ثلاثة أشياءَ لا تنتهي :
أنتِ ، والحبّ ، والموتُ
قبّلتُ خنجركِ الحلوَ
ثم احتميتُ بكفّيكِ
أنْ تقتليني
وأن توقفيني عن الموتِ

هو هو الحبَ .
إنّي أحبكِ حين أموت
وحين أحبّكِ
أشعر أني أموتُ
فكوني امرأه
وكوني مدينه !
ولكن ، لماذا سقطتِ ، لماذا احترقتِ
بلا سَبَبِ ؟
ولماذا ترهلّت في خيمة بدويّه ؟
ــ لأنكَ كنتَ تمارس موتاً بدون شهيّه
وأضافت ، كأنّ القَدَرْ

يتكسّرُ في صوتها :
هل رأيتَ المدينة تذهب
أم كنتَ أنت الذي يتدحرج من شرفة اللهِ
قافلةً من سبايا ؟
هل رأيتَ المدينةَ تهربُ
أم كنتَ أنت الذي يحتمي بالزوايا !
المدينةُ لا تسقطُ ، الناس تسقط ! .

ورويداً . . رويداً تفتّت وجهُ المدينه
لم نحوّل حصاها إلى لُغَةٍ
لم نسجّل شوارعها

لم ندافع عن البابِ
لم ينضج الموتُ فينا .
كانت الذكرياتُ مقرّاً لحكّام ثورتها السابقه
ومرّ ثلاثون عاماً
وألف خريف
وخمس حروب
وجئتُ المدينةَ منهزماً من جديد
كان سورُ المدينة يُشبهني
وقلتُ لها :
سأحاول حُبّكِ ...

أنا لا أذكر الآن شكل المدينةِ
لا أذكرُ اسمي
ينادونني حَسَبَ الطقس والأمْزجة
لقد سقط اسميَ بين تفاصيل تلك المدينةِ
لمله عسكريّ المرور
ورتّبه في ملف الحكومه
— تشبهين الهويّةَ حين أكون غريباً
تشبهين الهويّه .
— ليس قلبي قرنفلةً
ليس جسمي حقلاً
— ما تكونين ؟

هل أنت أحلى النساء وأحلى المدنْ
ـ للذي يتناسل فوق السفنْ
وأضافت :
بين شوك الجبال وبين أماسي الهزائم
كان مخاضي عسيراً
ـ وهل عذّبوكِ لأجلي ؟
ـ عذّبوكَ لأجلي !
هل عرفتِ الندمْ ؟
ـ النساء ـ المدن
قادراتٌ على الحبّ ، هل أنتَ قادر ؟
ـ أحاول حبّك

لكنَّ كل السلاسل
تلتفّ حول ذراعيّ حين أحاول . .
هل تخونيني ؟
ـ حين تأتي إليّ
ـ هل تموتين قبلي ؟
سألتكِ : مُوتي !
ـ أيجَديكَ مَوْتي ؟
ـ أصيرُ طليقاً
لأن نوافذ حُبّي عبوديّةٌ
والمقابرُ ليست تثير اهتمام أحدْ
وحين تموتين

أكمل موتي .
بين حُلْمي وبين اسمِهِ
كان موتي بطيئاً بطيئاً .

اموت ــ احبّكِ
إنّ ثلاثة أشياءَ لا تنتهي
أنت ، والحبّ ، والموتُ
أن تقتليني
وأن توقفيني عن الموتِ .
هذا هو الحبّ

. . . وانتهتْ رحلتي فابتدأتُ
وهذا هو الوقتُ : ألاّ يكون لشكلكِ وقتُ .
لم تكوني مدينه
الشوارعُ كانت قُبَلْ
وكان الحوار نزيفاً
وكان الجبلْ
عسكرياً . وكان الصنوبر خنجرْ .
ولا امرأةً كنتِ
كانت ذراعاكِ نهرين من جُثَثٍ وسنابلْ
وكان جبينُكِ بيدر
وعيناكِ نار القبائلْ

وكنتُ أنا من مواليد عام الخروج
ونسل السلاسل .

يحملُ الحلمُ سيفاً ، ويقتل شاعره حين يبلغُهُ —
هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن غائباً
لم أكن حاضراً
كنتُ مختفياً بالقصيدهْ .
إذا انفجرت من دمائي قصيده
تصير المدينةُ ورداً ،
كنتُ أمتشق الحُلُمَ من ضاعها

وأحارب نفسي
كنتُ أعلن يأسي
على صدرها ، فتصير امرأه
كنتُ أعلن حبي
على صدرها ، فتصير مدينه
كنتُ أعلن أنّ رحيلي قريب
وأنّ الرياح وأنّ الشعوب
تتعاطى جراحي حبوباً لمنع الحروب .

بين حلمي وبين اسمه
كان موتي بطيئاً

باسمها أتراجع عن حُلُمها . ووصلتُ أخيراً إلى الحلم .
كان الخريف قريباً من العشبِ .
ضاع اسمها بيننا . . فالتقينا .
لم أسجّل تفاصيل هذا اللقاء السريع .
أحاول شرح القصيده
لأغلق دائرة الجرح والزنبقه
وأفتح جسر العلاقة بين الولادة والمشنقه
أحاول شرح القصيده
لأفهم ذاك اللقاء السريع
أحاول
أحاول . . أحاول !

طوبى لشيء لم يصل !

هذا هو العُرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي . .
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيبُ إلى الحبيبْ
إلاّ شهيداً أو شريداً

دَمُهم أمامي . .
يسكن اليوم المجاورَ —
صار جسمي وردةً في موتهم . .
وذبلتُ في اليوم الذي سَبَقَ الرصاصةَ
وازدهرتُ غداةَ أكملتِ الرصاصةُ جُثَّتي . .
وجمعتُ صوتي كله لأكون أهدأ من دمٍ
غطّى دمي . . .

دَمُهم أمامي
يسكن المدنَ التي اقتربتْ
كأنَّ جراحهم سفنُ الرجوعِ

ووحدهم لا يرجعون . . .
دَمُهم أمامي . .
لا أراهُ
كأنه وطني
أمامي . . . لا أراهُ
كأنه طُرُقات يافا —
لا أراهُ
كأنه قرميد حيفا —
لا أراهُ
كأنّ كل نوافذ الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهُم يرون

وحاسّةُ الدم أينعتْ فيهم
وقادتْهم إلى عشرين عاماً ضائعاً
والآن ، تأخذ شكلها الآتي
حبيبتُهم . .
وترجعهم إلى شريانها .

دمهم أمامي . .
لا أراهُ
كأنّ كل شوارع الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهمُ يرون
لأنهم يتحررون الآن من جلد الهزيمة

والمرايا
ها همُ يتطايرون على سطوحهم القديمةِ
كالسنونو والشظايا
ها همُ يتحررون . . .

طوبى لشي غامضٍ
طوبى لشيء لم يصل
فكّوا طلاسمه ومزّقهُمْ
فأرّخْتُ البداية من خطاهم
(ها هي الأشجار تزهرُ
في قيودي)

وانتميت إلى رؤاهم
(ها هي الميناء تظهرُ
في حدودي)
والحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلمِ
والوطن المرابطِ خلفَهُ . .
الحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلمِ
والجسد المخبأ في شظيّهْ
والحلم أكثر واقعيّه

السفحُ أكبر من سواعدهمْ
ولكنْ . .

حاولوا أن يصعدوا
والبحر أبعد من مراحلهم
ولكن ..
حاولوا أن يعبروا
والنجمُ أقرب من منازلهم
ولكن ..
حاولوا أن يفرحوا
والأرضُ أضيقُ من تصورهم
ولكن ..
حاولوا أن يحلموا

طوبى لشيء غامض !

طوبى لشيء لم يصلْ

فكوا طلاسمه ومزّقهم

فأرّختُ البداية من خطاهم

وانتميت إلى رؤاهم

آه . . يا أشياء ! كوني مبهمه

لنكون أوضح منك

أفلستِ الحواسّ وأصبحتْ قيداً على أحلامنا

وعلى حدودِ القدسِ ،

أفلستِ الحواسّ ، وحاسّةُ الدم أينعت فيهم

وقادتهم إلى الوجه البعيد

هربت حبيبتهم إلى أسوارها وغزاتها
فتمردوا
وتوحدوا
في رمشها المسروق من أجفانهم
وتسلّقوا جدران هذا العصرِ
دقّوا حائط المنفى
أقاموا من سلاسلهم سلالمْ
ليقبّلوا أقدامها
فاكتظّ شعبٌ في أصابعهم خواتمْ
هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي

هذا هو العُرسُ الفلسطينيْ
لا يصل الحبيبُ إلى الحبيبْ
إلاّ شهيداً . . أو شريداً

ـ من أي عامٍ جاء هذا الحزنَ ؟
ـ من سَنَةٍ فلسطينيةٍ لا تنتهي
وتشابهتْ كلّ الشهورَ ، تشابه الموتى
وما حملوا خرائط أو رسوماً أو أغاني للوطن
حملوا مقابرهم . .
وساروا في مهمتهم
وسرنا في جنازتهم

وكان العالم العربيّ أضيق من توابيت الرجوع .

أنراك يا وطني
لأن عيونهم رسمتْكَ رؤيا . . لا قضية !
أنراك يا وطني
لأن صدورهم مأوى عصافير الجليل وماء وجه المجدليه!
أنراك يا وطني
لأن أصابع الشهداء تحملنا إلى صفدٍ
صلاةً . . أو هويّة
ماذا تريد الآن منّا
ماذا تريد؟

خذهم بلا أجرٍ
ووزّعهم على بيّارة جاعت
لعلّ الخضرة انقرضت هناك . . .

ألشيءُ . . أم هُمْ ؟
إن جثة حارسٍ صمّامُ هاوية الترديّ .—
(هكذا صار الشعار ، وهكذا قالوا)
ومرحلةٌ بأكملها أفاقتْ — ذات حلم —
من تدحرجها على بطن الهزيمة ، (هكذا ماتوا)
وهذا الشيء . . هذا الشيء بين البحرِ
والمدن اللقيطة ساحلٌ لم يتّسع إلاّ لموتانا .

ومروا فيه كالغرباء (ننساهم على مهل)
وهذا الشيء . . هذا الشيء بين البحر
والمدن اللقيطة حارسٌ تعبت يداه من الإشارةِ .
لم يصل أحدٌ ومروا من يديه الآن
فاتسعتْ يداهُ
كلّ شيء ينتهي من أجل هذا العرسِ . .
مرحلة بأكملها أفاقت — ذات موت —
من تدحرجها على بطن الهزيمه . .

الشيء . . أم هم ؟
يدخلون الآن في ذرات بعضهم ،

يصير الشيء أجساداً ،
وهم يتناثرون الآن بين البحر والمدن
اللقيطة
ساحلاً
أو برتقالا —
كل شيء ينتهي من أجل هذا العرس
مرحلة بأكملها . . . زمانٌ ينتهي
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيب إلى الحبيب
إلاّ شهيداً أو شريداً .

موت آخر . . . واحبك

— ١ —

أجدّدُ يوماً مضى ، لأحبّكِ يوماً . . وأمضي
وما كان حباً
لأن ذراعيّ أقصر من جبل لا أراه
وأكمل هذا العناق البدائيّ ، أصعد هذا الإلهَ
الصغير . .

وما كان يوماً
لأن فرّاش الحقول البعيدةِ ساعةُ حائطْ
وأكمل هذا الرحيل البدائيَّ أصعد هذا الإله
الصغير
وما كنتِ سيدة الأرض يوماً
لأن الحروب تلامس خصرك سرب حمامْ
وتنتشرين على موته أفقاً من سلام
يسد طريقي إلى شفتيك ، فأصعد هذا الإلهَ
الصغير
وما كنتُ ألعب في الرمل لهواً
لأن الرذاذ يكسّرني حين تعلن عيناكِ

أن الدروب إلى شهداء المدينة مقفرة من يديكِ
فأصعد هذا الإله الصغير . .
وما كان حباً
وما كان يوماً
وما كنتُ
وما كنتِ
إني أجدد يوماً مضى
لأحبك يوماً
وأمضي . .

— ٢ —

سألتكِ أن ترتديني خريفاً ونهراً
سألتكَ أن تعبري النهر وحدي
وتنتشري في الحقول معاً .
سألتك ألا أكون وألا تكوني
سألتك أن ترتديني
خريفاً
لأذبل فيك ، وننمو معاً .
سألتك ألا أكون وألا تكوني
سألتك أن ترتديني

نهراً
لأفقد ذاكرتي في الخريف
ونمشي معاً .

وفي كل شيء نكون
يوحّدنا ما يُشتّتنا
ليس هذا هو الحبّ
في كل شيء نكون
يجددنا ما يفتّتنا
ليس هذا هو الحبُّ ـ
هذا أنا . .

أجيئكِ منك ، فكيف أحبك ؟
كيف تكونين دهشة عمري ؟
وأعرف :
أن النساء تخون جميع المحبين إلاّ المرايا
وأعرف :
إن التراب يخون جميع المحبين إلاّ البقايا
أجيئك منك انتظاراً
وأغرق فيك انتحاراً
أجيئك منك انفجاراً
وأسقط فيك شظايا . .
وكيف أقول أحبك ؟

كيف تحاول خمس حواسّ مقابلة المعجزه
وعيناك معجزتان ؟
تكونين نائمة حين يخطفني الموجُ
عند نهاية صدرك يبتدىء البحرُ
ينقسم الكون هذا المساء إلى اثنين :
أنتِ ومركبة الأرض .
من أين أجمع صوت الجهات لأصرخ :
إني أحبك

— ٣ —

تكونين حريتي بعد موت جديد
أحبّ
أجدّد موتي
أودع هذا الزمان وأصعد
عيناك نافذتان على حلم لا يجيء
وفي كل حلم أرمّم حلماً وأحلمُ
قالت مريّا : سأهديك غرفة نومي
فقلتُ : سأهديك زنزانتي يا مريّا
— لماذا أحبكَ ؟

* من أجل طفل يؤجّل هجرتنا يا مريّا
- سأهديكَ خاتم عرسي
* سأهديك قيدي وأمسي
- لماذا تحاربُ ؟
* من أجل يوم بلا أنبياء .
تكونين جندية . تغلقين طريقي . تقولين : ما اسمك ؟
أعلن أني أمشط موج البحار بأغنيتي ودمي
كي تكوني مريّا .
- إلى أين تذهب ؟
* أذهب في أول السطر . لا شيء يكتمل الآن
- هل يلعب الشهداء بأضلاعهم كي تعود مريّا ؟

* تعود ، وهم لا يعودون
ـ هل كنتَ فيهم ؟
* وعدت لأنيَ نصف شهيد
لأني رأيت مريمّا .
سأهديكَ غرفة نومي
* سأهديكِ زنزانتي يا مريمّا .

— ٤ —

غريبان

إن القبائل تحت ثيابي تهاجرُ
والطفل يملأ ثنية ركبتكِ
الآن أعلن أن ثيابك ليست كفن

غريبان
إن الجبال الجبال الجبال . . .

غريبان
ما بين يومين يولد يوم جديد لنا
وماذا نسميه
قلنا : وطن

غريبان

إنّ الرمال الرمال الرمال . . .

غريبان

والأرض تعلن زينتها

– أنتِ زينتُها –

والسماء تهاجر تحت يدين

غريبان

إن الشمال الشمال الشمال . .

غريبان
شعركِ سقفي ، وكفاك صوتان
أقبّل صوتاً
وأسمع صوتاً
وحبك سيفي
وعيناك نهران
والآن أشهد أن حضورك موت
وان غيابك موتان
والآن أمشي على خنجر وأغني
فقد عرف الموت أني
أحبك ، أني

أجدد يوماً مضى
لأحبك يوماً
وأمضي . .

— ٥ —

سمعتُ دمي ، فاستمعتُ إليكِ
ولم تَصِلي بعدُ
كان البنفسج لون الرحيل
وكنت أميل مع الشمس —

أيها الممكن المستحيل
وكانت ظلال النخيل تغطي خطانا التي تتكونُ
منذ الصباح وأمسِ .
وكنا نميل مع الشمس ،
كنتُ القتيل الذي لا يعود
نسيتُ الجنازة خلف حدود يديكِ
سمعت دمي ، فاستمعت إليك . .
إلى أين أذهب ؟
ليست مفاتيح بيتي معي
ليس بيتي أمامي
وليس الوراء ورائي

وليس الأمام أمامي
إلى أين أذهب ؟
إن دمائي تطاردني ، والحروب تحاربني ، والجهات
تفتشني عن جهاتي
فأذهب في جهة لا تكون
كأنَّ يديك على جبهتي لحظتان
أدور أدور
ولا تذهبان
أسيرُ أسيرُ
ولا تأتيان
كأن يديك أبد

آه ، من زمن في جسد !

يعرف الموت أني أحبّكِ
يعرف وقتي
فيحمل صوتي
ويأتيك مثل سعاة البريد
ومثل جباة الضرائبِ
يفتح نافذة لا تطل على شجرٍ
(قد ذهبتُ ولم أعترف) .
يعرف الموت أني أحبك . .
يستجوب القبلة النصفَ . .

تستقبلين اعترافي . .
وتبكين زنبقةٌ ذبلت في الرسالةِ
ثم تنامين وحدك وحدكِ وحدكِ
يشهق موت بعيد
ويبقى بعيد

إلى أين أذهب ؟
إنّ الجداول باقية في عروقي
وإن السنابل تنضج تحت ثيابي
وإن المنازل مهجورة في تجاعيد كفي
وإن السلاسل تلتف حول دمي

وليس الأمام أمامي
وليس الوراء ورائي
كأن يديك المكان الوحيد
كأن يديك بلد
آه من وطن في جسد !

– ٦ –

وصلتُ إلى الوقت مبتعدا
لم يكن بلدا

كي أقول وصلتُ
وما كان – حين وصلتُ – سدى
كي أقول تعبتُ
وما كان وقتاً لأمضي إليه . .
وصلت إلى الوقت مبتعدا
لم أجد أحدا
غير صورتها في إطار من الماءِ
مثل جبيني الذي ضاع بيني
وبين رؤايَ سدى !

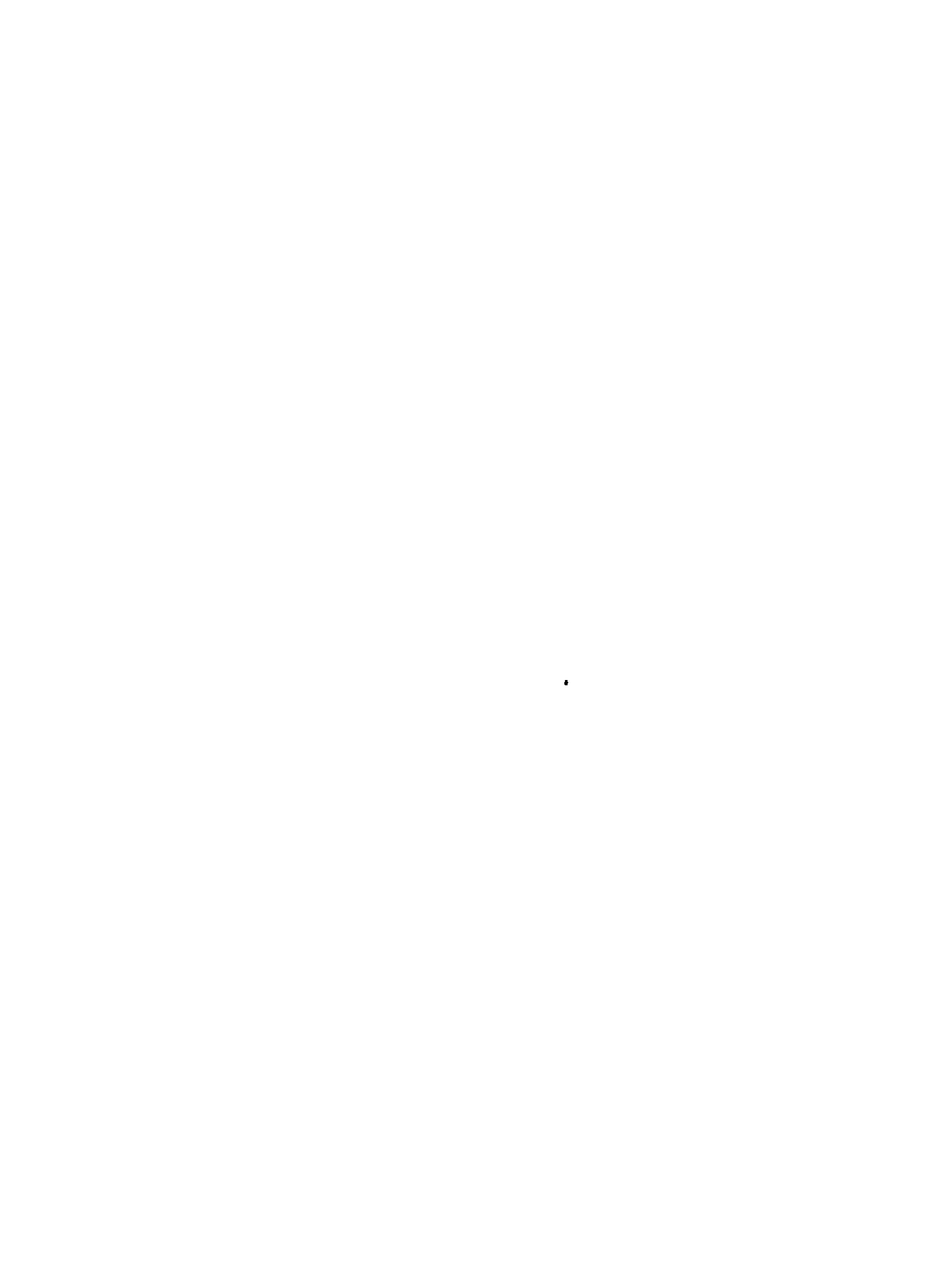
سمعتُ دمي

فاستمعتُ إليك
مشيتُ
لأمشي إليك

وكانت عصافيرُ ملء الهواء
تسير ورائي
وتأكلني — كنتُ سنبلةً —
كنت أحمل ضلعاً وأسأل أين بقيتُهُ
آخرُ الشهداء
يحاول ثانيةً
كيف أحمل نهراً بقبضة كفي

وأحمل سيفي
ولا يسقطان
أنا آخر الشهداء
أسجل أنك قديسة في الزمان ، وضائعة
في المكان
أريد بقية ضلعي
أريد بقية ضلعي
أريد بقية ضلعي

عودة الأسير



ألنيلُ ينسى
والعائدون إليكِ منذ الفجر لم يَصِلُوا
هناك حمامتان بعيدتان
ورحلةٌ أخرى
وموتٌ يشتهي الأسرى
وذاكرتي قويّه .
والآن ، ألفظُ قبل روحي

كلُّ أرقام النخيل
وكلُّ أسماء الشوارع والأزقّة سابقاً أو لاحقاً
وجميعَ مَنْ ماتوا بداء الحب والبلهارسيا والبندقيه .

ما دَلَني أحدٌ عليكِ
وانتِ مصرْ
قد عانقتني نَخْلَةٌ
فتزوّجَتْني
شَكَّلَتْني
أنجبتْني الحبَّ والوطن المعذَّبَ والهويّهْ .
ما دلّني أحَدٌ عليكِ

وجدتُ مقبرة . . . فنمتُ
سمعتُ أصواتاً . . فقمتْ
ورأيتُ حرباً . . فاندفعتُ
وما عرفتُ الأبجديّه .

قالوا : اعترفْ
قلتُ : اعترفتْ
يا مصر ! لا كسرى سباكِ ولا الفراعنةُ
اصطفوكِ أميرةً أو سيّده !
قالوا : اعترف
قلت : اعترفتْ

وتوازت الكلماتُ والعضلاتُ
كانوا يقلعون أظافري
ويقشرون أناملي
ويبعثرون مفاصلي
ويفتّشون اللحمَ عن أسرار مصرْ . . .
وتدفّقت مصرُ البعيدةُ من جراحي
فاقتربتْ
ورأيتُ مصر
وعرفتُ مصر .
ما دلّني أحدٌ ، خناجرهم تفتّشني فيخرج شكلُ مصر .
يا مصر ! لستِ خريطةً

قالوا : اعترفْ
قلت : اعترفتْ
واصلتُ يا مصر اعترافاتي
دمي غطّى وجوه الفاتحين
ولم يغطّ دمي جبينك ، واعترفتُ
وحائطُ الإعدام يحملني إليك إليكِ . . .
أنتِ الآن تقتربين . أنت الآن تعترفينَ
فامتشقي دمي ! .

والنيلُ ينسى
ليس من عاداته أن يُرجع الغرقى

وآلاف العرائس مَنْ تقاضى أجرها ؟
النيل ينسى .
والقرى رفعتْ مآذنها وشكواها
وأخفتْ صدرها في الطينِ . .
والمدنُ ـ الجنود الغائبون ـ الاتحاد الاشتراكي ـ المغني
راقصاتُ البطن ـ والسيّاح ـ والفقراءُ
سبحان الذي يعطي ويأخذُ !
ليس من عادات هذا النيل أن يصغي إلى أحدٍ
كأنّ النيل تمثالٌ من الماء استراح إلى الأبد .

ماذا يقول النيل

لو نطقتْ مياه النيل ؟
يسكت مرة أخرى
وينساني . .
لتسكت جوقة الإنشاد حول جنازتي !
وخذي عن الجثمان أعلامَ الوطن
يا مصر ! تحيا مصر . . تحيا مصر . . تحيا مصرُ
غطّي حفنة من رمل سيناء التي ابتعدتْ عن العينين
والتجأتْ إلى الرئتين
وامتشقي دمي
وخذي عن الجثمان أعلام الوطن
سيناء ليس لها كفن !

والنيلُ ينسى
ماذا يقول النيل ، لو نطقتْ مياهُ النيل ؟
يسكت مرةً أخرى
ولا يستقبل الأسرى .
ليسكت ههنا الشعراءُ والخطباءُ
والشُّرَطيّ والصحفيّ
إنّ جنازتي وصلتْ
وهذي فرصتي يا مصر . . أعطيني الأمان
يا مصر ! أعطيني الأمان
لأموت ثانيةً . . شهيداً لا أسيرْ
السدّ عالٍ شامخ ، وأنا قصير

والمنشآت كبيرةٌ ، وأنا صغير
والأغنيات طليقةٌ ، وأنا أسير
يا مصر ! أعطيني الأمان
إني حرستُك . كانت الأشياء آمرةً وآمنةً وكان المطرب
الرسميّ يصنع من نسيج جلودنا وتر الكمان
ويطرب المتفرّجين .
قد زيّفوا يا مصر حنجرتي
وقامةَ نخلتي
والنيل ينسى
والعائدون إليك منذ الفجر لم يَصِلوا
ولستُ أقول يا مصر الوداع

شَبَّتْ خيول الفاتحين
زرعوا على فمك الكروم ، فأينعتْ
قد طاردوكِ — وأنتِ مصر
وعذّبوكِ — وأنت مصر
وحاصروكَ — وأنت مصر
هل أنت يا مصر ؟
هل أنت . . مصر ! .

الرمادي

الرماديُّ اعترافٌ . والسماء الآن ترتدّ عن الشارع

والبحر ، ولا تدخل في شيء ، ولا تخرج من

شيء . . . ولا تعترفينْ

ساعتي تسقط في الماء الرماديّ . فلم أذهب إلى موعدكِ

الساطعِ . يأتي زَمَنٌ آخرُ إذ تنتحرين .

وأُسمّي حادثاً يحدث في أيامنا :

قد ذَهَبَ العمر ، ولم أذهب مع العمر إلى هذا المساء
وسأبقى في انتظاركْ .
وأسمّي حادثاً يحدث في أيامهمْ :
عندما أمشي إلى النهر البعيدْ
يقف النهرُ طويلاً في انتظاري .
وأتابعْ :
عندما أرجع في منتصف الموت ، يجفّ النهرُ في ذاكرتي
يذبلُ ما بين الأصابعْ .
فلماذا تقفينْ ؟
ولماذا تقفينْ ؟
وتكونين أمامَ الطعنة الأولى . أمام الخطوة الأولى . . .

ولا تعترفين .
والرماديّ اعترافٌ . مَنْ رآني قد رأى وجهكِ ورداً
في الرمادْ .
مَنْ رآني أخرَجَ الخنجر من أضلاعه ، أو خبّأ الخنجر
في أضلاعهِ .
حيث تكونين دمي يمطر ، أو يصعد في أيّ اتجاهٍ
كالنباتات البدائيةِ .
كوني حائطي
كي أبلغ الأفْقَ الرماديّ
وكي أجرح لون المرحلهْ
من رآني ضاع منّي

في ثياب القَتَلَهْ !
والرماديّ اعترافٌ وشبابيكٌ . نساء وصعاليكُ
الرماديّ هو البحر الذي دَخّنَ حُلْمي زَبَدا
والرماديّ هو الشّعر الذي أجّر جرحي بلدا
الرماديّ هو البحرُ
هو الشّعرُ
هو الزهرُ
هو الطيرُ
هو الليلُ
هو الفجرُ
الرماديّ هو السائرُ والقادمُ

والحلم الذي قَرّره الشاعرُ والحاكم
منذ اتّحدا ! .
لستُ أعمى لأرى
لستُ أعمى . . لأرى
إنّني أعبرُ بين الجُثّتين القمّتينْ
كالنباتات البدائية
كوني حائطي كي أعبُرا .
لستُ أعمى . . لأرى .
تزحفُ الصحراء . تلتفّ على خاصرتي . تمتد تمتدّ ،
وتلتفّ على صدري ، وتشتدّ وتشتدّ ، ولا أغرق . .
لا أغرق . . لا أغرقُ

لا ! .

ليس لي خلف جبال الرمل آبارٌ من النفط ، ولا صفصافة
مستشرقهْ .

كان لي سورةُ « اقرأ » وقرأتْ . .

كان لي بذرةُ قمح في يدٍ محترقه
واحترقتْ .

وليَ الآن شتاءٌ من دم يمتصّه الرمل ، ويُستخرج
مازوتاً . واستَدْعَى إلى الحرب لكي يصبح سعرُ
النفط أعلى .

قلت : كلاّ !

والرماديّ اعترافٌ مثل جدران الزنازين التي تكثر بعد

الحربِ . لا . لم يبكِ جنديّ على تاجٍ . واستُدْعيَ
إلى الحرب لكي يصبح لون التاج أغلى .
لستُ أعمى . . لأرى .
هل تركتِ الباب مفتوحاً ؟
تعودين بلا جدوى . .
ينام الحُلُم الكاذبُ في المخفرِ . يُدلي باعترافاتٍ .
يمرّ الحلُم الهاربُ من قُبّعة السجّان . يُدّلي
باعترافات على مائدة القرصان ؛
يُدلي باعترافاتٍ . ينامُ الحُلُم الغائبُ تحت المشنقهْ .
هل تركت البابَ مفتوحاً ؟
لكي أقفز من جلدي إلى أوّل عصفور رماديّ ، وأحتجَّ

على الآفاق :

كلا ! .

الرماديّ من البحر إلى البحرِ

وحُرّاسُ المدى عادوا

وعيناكِ أمامي نقطتانْ

والسرابُ الضوء في هذا الزمان

الواقف الزاحف ما بين وداعين طويلين

ونحن الآن ما بين الوداعين وداع دائمٌ

أنتِ السرابُ — الضوء ، والضوء — السرابْ

مَنْ رآنا أخرج الخنجر من أضلاعه ، أو خبّأ الخنجر
في أضلاعِهِ

حيث تكونين دمي يمطر أو يصعدُ في أي اتجاه
كالنباتات البدائيةِ
كوني حائطي أو زَمني
كي أطأ الأفقَ الرماديّ
وكي أجرح لون المرحله
مَنْ رآنا ضاع منّا
في ثياب القَتَلَه
فاذهبي في المرحله
إذهبي
وانفجري بالمرحله !.

طريق دمشق



من الأزرق ابتدأ البحرُ . .
هذا النهار يعود من الأبيض السابقِ . .
الآن جئتُ من الأحمر اللاحقِ . .
اغتسلي يا دمشق بلوني
ليولد في الزمن العربيّ نهار .

أحاصركم : قاتلاً أو قتيلْ

وأسألكم ، شاهداً أو شهيدْ :
متى تفرجون عن النهر ، حتّى أعود إلى الماء أزرقَ
أخضرَ
أحمرَ
أصفرَ
أو أي لون يحدّده النهرُ
إنّي خرجتُ من الصيف والسيفِ
إني خرجت من المهد واللحدِ
نامت خيولي على شجر الذكرياتِ
ونمتِ على وتر المعجزات
ارتدتني يداكِ نشيداً إذا أنزلوه على جبل ، كان سورةَ

« ينتصرون » . . .
دمشق ، ارتدتني يداك ، دمشق ! ارتديت يديك ،
كأنّ الحريطة صوتٌ يُفرّخ في الصخرِ
نادى . . . وحركني
ثم نادى . . وفجّرني
ثم نادى . . وقطّرني كالرخام المذاب
ونادى .
كأن الحريطة انثى مُقدّسة فجّرتني بكارتُها، فانفجرتُ
دفاعاً عن السرّ والصخرِ
كوني دمشق
فلا يعبرون !

من البرتقاليّ يبتدىء البرتقالُ
ومن صمتها يبدأ الأمسُ
أو : يولد القبرُ
يا أيها المستحيل . . يسمّونك الشام !
أفتحُ جرحي لتبتدىء الشمسُ . ما اسمي ؟ دمشقَ . .
وكنت وحيداً .
ومثليَ كان وحيداً هو المستحيل .
أنا ساعة الصفر دقّتْ
فشقّت
خلايا الفراغ على سرج هذا الحصان
المحاصر بين المياه

وبين المياه .
أنا ساعة الصفر .
جئت أقول :
أحاصرهم قاتلاً أو قتيل
أعدّ لهم ما استطعتُ . . وينشقّ في جثتي قمرُ المرحله
وأمتشق المقصله
أحاصرهم : قاتلاً أو قتيل
وأنسى الخلافة في السفر العربيّ الطويل
إلى القمح والقدس والمستحيل
يورّخني خنجران :
العدوّ

وعورةُ طفل صغير تسمّـونهُ
بردى
وسمّـيته مبتدا
وأخبرته أنني قاتل أو قتيل .

« من الأسود ابتدأ الأحمرُ . . ابتدأ الدمُ » .
هذا أنا . هذه جثّتي
أيّ مرحلة تعبر الآن بيني وبيني !
أنا الفرق بينهما
همزة الوصل بينهما
قبلة السيف بينهما

طعنة الورد بينهما
آه ، ما أصغر الأرضَ !
ما أكبر الجرحَ . .
مُرّوا
لتتّسع النقطةُ . . النطفةُ . . الفارق . .
الشارعُ . . الساحلُ . . الأرضُ . .
ما أكبرَ الأرضَ !
ما أصغرَ الجرحَ
هذا طريق الشام . . وهذا هديل الحمام
وهذا أنا . هذه جثّتي .
والتحمنا

فمُرّوا ..
خذوها إلى الحرب كي أنهيَ الحرب بيني وبيني
خذوها .. احرقوها بأعدائها
أنزلوها على جبل غيمة أو كتاباً
ومُرّوا ..
ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي
هذه جثتي واتهامي
تدلّتْ من الشارع الجانبيّ إلى المكتب البرجوازيّ
مُرّوا
ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي .

طريق دمشق
دمشق الطريق
ومفترق الرسل الحائرين أمام الرماديّ
إني أغادر أحجاركم – ليس مايو جدارا
أغادر أحجاركم وأسير
وراء دمي في طريق دمشق
أحارب نفسي .. وأعداءها .
ويسألني المتعبون ، أو المارة الحائرون عن اسمي
فأجهلهُ ..
اسألوا عشبة في طريق دمشق !
وأمشي غريباً .

وتسألني الفتيات الصغيرات عن بلدي
فأقول : أفتش فوق طريق دمشق .
وأمشي غريباً .
ويسألني الحكماء الملون عن زمني
فأشير إلى حجر أخضر في طريق دمشق .
وأمشي غريباً .
ويسألني الخارجون من الدير عن لغتي
فأعدّ ضلوعي وأخطىء
إني تهجّيتُ هذي الحروف . فكيف أركّبها ؟
دال . ميم . شين . قاف .
فقالوا : عرفنا – دمشق !

ابتسمتُ . شكوتُ دمشق إلى الشام :
كيف محوت ألوف الوجوه .
وما زال وجهكِ واحدْ !
لماذا انحنيت لدفن الضحايا
وما زال صدركِ صاعد !
وأمشي وراء دمي . وأطيع دليلي
وأمشي وراء دمي نحو مشنقتي
هذه مهنتي يا دمشق . .
من الموت تبتدئين . وكنت تنامين في قاع صمتي ولا
تسمعين . .
وأعددتِ لي لغةً من رخام وبرق .

وأمشي إلى بردى ، آه مستغرقاً فيه أو خائفاً منه . .
إنّ المسافة بين الشجاعة والخوفِ
حُلُمٌ
تجسّد في مشنقهْ
آه ، ما أوسع القبلة الضيّقهْ !
وَأَرّخَني خنجران :
العدوّ
ونهر يعيش على مَهَلِ .
هذه جثتي ، وأنا
أفق ينحني فوقكم
أو حذاء على الباب يسرقه النهرُ

أقصد:
عورةَ طفلٍ صغير يسمّونه
بَرَدى
وسميته مبتدا
وأخبرته أنني قاتل أو قتيل .

تُقَلّدني العائداتُ من النّدَم الأبيضِ
الذاهباتُ إلى الأخضر الغامضِ
الواقفاتُ على لحظة الياسمين .
دمشق ! انتظرناكِ كي تخرجي منك
كي نلتقي مرة خارجَ المعجزات

انتظرناكِ . .
والوقت نام على الوقتِ
والحب جاء ، فجئنا إلى الحربِ
نغسل أجنحة الطير بين أصابعك الذهبيّةِ
يا امرأة لونها الزبد العربيّ الحزين .
دمشق الندى والدماء .
دمشق النداء
دمشق الزمان
دمشق العرب !
تقلدني العائداتُ من النّدَم الأبيضِ
الذاهباتُ الى الأخضر الغامضِ

الواقفاتُ على ذبذبات الغضب
ويحملك الجند فوق سواعدهم
يسقطون على قدميك كواكبَ
كوني دمشقَ التي يحلمون بها
فيكون العرب .

قلتُ شيئاً ، وأكمله يومَ موتي وعيدي :
من الأزرق ابتدأ البحرُ
والشام تبدأ مني — أموت
ويبدأ في طرق الشام أسبوع خَلْقي
وما أبعد الشام ، ما أبعد الشام عني !

وسيف المسافة حزَّ خطاياي . . حز وريدي
فقرّبني خنجران :
العدوّ وموتي
وصرتُ أرى الشام . . ما أقرب الشام مني
ويشنقني في الوصول وريدي .

وقد قلتُ شيئاً ، وأكملُهُ :
كاهنُ الاعترافات ساومني يا دمشقُ
وقال : دمشق بعيده
فكسّرْتُ كرسيّهُ ، وصنعتُ من الخشب الجبليّ صليبي
أراك على بُعْدِ قلبين في جسدٍ واحدٍ

وكنتُ أطلّ عليك خلال المسامير
كنت العقيده
وكنتُ شهيد العقيده
وكنتِ تنامين داخل جرحي
وفي ساعة الصفر ، تمّ اللقاء
وبين اللقاء وبين الوداع
أودّعُ موتي . . وأرحل .
ما أجملَ الشامَ ، لولا الشامُ ، وفي الشامِ
يبتدىء الزمن العربيّ وينطفىء الزمن الهمجيَ
أنا ساعة الصفر دقتْ
وشقّتْ

خلايا الفَراغ على سطح هذا الحصان الكبير الكبيرِ
الحصان المحاصر بين المياه
وبين المياه
أعِدّ لهم ما استطعتُ . .
وينشقّ في جثتي قمرٌ . . ساعةُ الصفر دَقّتْ . .
وفي جثتي حبّة أنبتت للسنابلِ
سبع سنابلَ ، في كل سنبلةٍ ألفُ سنبلةٍ . .
هذه جثتي . . أفرغوها من القَمح ثم خذوهَا إلى الحربِ
كي أنهي الحرب بيني وبيني
خذوها ، احرقوها بأعدائها
خذوها ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي

وأمشي أمامي
ويولد في الزمن العربي .. نهار .

تلك صورتها
وهذا انتحار العاشق
١٩٧٥

وأريدُ أن أتقمص الأشجارَ :
قد كذب المساء عليه . أشهدُ أني غطّيتهُ بالصمتِ
قرب البحرِ
أشهدُ أنيَ ودّعتُهُ بين الندى والانتحار .

وأريدُ أن أتقمّص الأسوارَ :
قد كذب النخيلُ عليه . أشهد أنه وجد الرصاصةَ . .
أنه أخفى الرصاصةَ

أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار .

وأُريد أن أتقمص الحُرَّاسَ :
قد كذب الزمانُ عليه . أشهد أنه ضد البدايةِ . .
أنه ضد النهايةَ
كانت الزنزانةُ الأولى صباحاً
كانت الزنزانة الأخرى مساء
كان بينهما نهارْ .

وكأنّهُ انتحرَ
السماءُ قريبة من ساقهِ

والنحل يمشي في الدم المتقدّمِ
الأمواجُ تمشي في الصّدى
وكأنه انتحرَ
العصافيرُ استراحت في المدى
وكأنه انتحرَ
احتجاجاً
أو وداعاً
أو سدى .

وكأنه انتحرَ
الظهيرةُ لا تمرُّ . . ولا يمرُّ

كأنه انتحر
السماء قريبةٌ من ساقهِ
والنحل يمشي في الدم المتقدّمِ
البركان يولد بين حبّات الندى .

والصوتُ أسودُ
كنتُ أعرف أن برقاً ما سيأتي
كي أرى صوتاً على حجر الدجى .
والصوتُ أسودُ
كنتُ في أوجِ الزفافْ
الطائرات تمرُّ في عرسي

ـ كتبتُ ـ
حبيبتي فحمٌ
ـ كتبتُ ـ
وكنتُ أعرف أنّ برقاً ما سيأتي
كي يعود المطربون إلى ملابسهمْ
وإنّ الطائرات تمرُّ في يومي
أنا المتكلّم الغائبْ
الطائرات تمرُّ في عرسي
فاخترلَ الفضاءَ ، وأشتهي العذراءَ
إنّ الطائرات تمرُّ في يومي وفي حُلمي تمرّ الطائرات
فأشتهي ما يُشْتَهى

وأحبّ قبلَ الحبّ .
في زمن الدخان يضيء تُفاّحُ المدينة
تنزل الرؤيا إلى الجدرانِ
في زمن الدخان يخبّىءُ السجّانُ صورته . .
رأيتُ رأيتُ عصفورين يحتلاّن قُبّعةً
رأيت الذكريات تفرُّ من شُبّاك جارتنا
وتسقط في جيوب الفاتحين .
وأشتهي ما يُشتهى
والطائراتُ تمرّ
والزمن المُكَلّس ينتهي في الانهياراتِ
الأصابعُ ظلُّ ذاكرة على الجدرانِ

والدمُ نُطفةٌ أو بذرةٌ
لا لون لي
لا شكل لي
لا أمس لي
إن الشظايا حاصرتني
فاتّسعتُ إلى الأمامِ
وصرتُ أعلى من مدينتنا . أنا الشجر الوحيدُ
أنا الشظايا و . . . الهدايا
أرتديكِ ، وأخلع الأيامَ
لا تاريخ قبل يديكِ
لا تاريخ بعد يديكِ

سموّكِ البديل
لأنّ لونَ الثورة احتلّ الكآبةَ
والغزاة يمشّطون يديكِ من آثار ظهري .
أرتديكِ ، وأخلع الأيامَ
سموّكِ البديل
وبدّلوكَ
كأنّ أغنيةَ تغيّر أو تطهّرُ أو تدمّرُ أو تفجّرْ .
هم يبحثون عن البكارة خندقاً
ويمارسون الغزو ضد الغزو في خلجان جسمكِ
أرتديكِ .. وأخلع الأيامَ
سموّك البديلَ

وهم ضحاياكِ .
اتّسعْتُ إلى الأمام ، وصحت بالأيام :
لي يومٌ
وخطوتُها . . .

أنا ضدّ المدينةِ :
في زمان الحربَ غطّتني الشظيّةُ
في زمان السلم غطّاني العراءْ :
عادوا إلى يافا . ولم أذهب

أنا ضد القصيدةِ :

غَيَّرَتْ حزن النبيّ ولم تغيّر حاجتي للأنبياءْ .
والطائرات تعود من عرسي . تغادرني بلا سببٍ ،
فأبحثُ عن تقاليدي . . وموتايَ الذين يحاصرونَ الليل ،
يقتربون من صدري ، ويزدحمون في صدري ،
ولا يَصلون لا يصلون
كان يصيح بالأسوار :
لي يومٌ
وخطوتُهم
وكان البحر يرحل في المساء

وحضرتُ في جرحي وقمحك

لا لذاكرتي
ولا لقصيدة الآثارِ
لا لبكائك الصفصافِ
لا لنبوءة العرّافِ
يومُكِ خارج الأيام والموتى
وخارج ذكريات الله والفرح البديل .

حدّقْتُ في جرحي وقمحكِ
للأشعّة فيهما وطنٌ يدافع عن مسافته .
ويسقط عندما نمضي
ونسقط عندما نبقى حدوداً للأشعةِ

والمدينةُ قرب حنجرتي تغني حين تسقط في مرايا النهرِ
صوتي ليس لافتة
ولكني أسمّيكِ البديل .
حدّقتُ في جرحي
سأتّهمُ المدينة بالعذوبة والجمال الشائع الموروثِ
من جبل جميل .
هبطتْ نساء من قشور الضوءِ
جاء البحرُ من نومي على الطرقاتِ
جاء الصيف من كسل النخيل .
أحصيتُ أسباب الوداعِ
وقلتُ :

ما بيني وبين اسمي بلادٌ
ليس لي لغةٌ
ولكني أسمّيك البديل .

ضدَّ العلاقةِ :
أن يجيء الوجَهُ مثل الزرقة الخضراءِ
أن يمضي لأرسمه على جدران هذا السجن
أن يغزو شراييني ويخرج من يدي —
هذا هو الحبُّ الجميل .
وأحبّ أن تأتي لتمضي .
طائرات
طائرات

طائراتٌ .
حاور السجّانُ صمتي
قال صمتي برتقالاً
قال صمتي هذه لغتي
وأرّختُ اللقاء .
الصخرُ يهتف لاسمكِ الوحشيّ كُمّثرى
وأسأل : هل تزوّجتِ الجبال
ووصمتني بالعار والسفح البطيء ؟

وأُصدّقُ الراوي ، وأنكسرُ :
الرجالْ

يبقون كالندم . . الخطيئة . . والبنفسج فوق أجساد النساء.
وأصدّق الراوي ، وأنفجرُ :
النساءْ
يذهبن كالعنب . . الغبار . . وضربة الحُمّى
عن الذكرى وأجساد الرجال .

وأصدّقُ الراوي
ولا أجد الإشارة والدليل
وأكذّب الراوي
ولا أجد البنفسج والحقول .
إنّ الدروب إليكِ تختنقُ . .

الدروب إليك تحترقُ . .
الدروب إليك تفترقُ . .
الدروب إليك حبلٌ من دمي

والليل سقفُ اللصّ والقدّيسِ
قُبّعةُ النبيّ وبزّة البوليس
أنتِ الآن تتّسعين
أنت الآن تتسعين
أنت الآن تتسعين
أرسمُ جثّتي ويداك فيها وردتانْ
بيني وبينكِ خيمة أو مهرجان

بيني وبينك صورتان .
وأضيف كي تنسي وكي تتذكّري :
بيني وبين اسمي بلاد .

حاور السجّان صوتي
قال صوتي : طائرات طائرات طائرات .
سجّانُ ! يا سجّانُ
لي وجهٌ يحاول أن يراني
سجّانُ ! يا سجّانُ
لي وجهٌ أحاول أن أراهْ
لكنهم عادوا إلى يافا ، ولم أذهب

أنا ضدّ القصيدةِ
ضد هذا الساحلَ الممتدّ من جرحي
إلى ورق الجريدة .
كثر الحياديون . أو كثر الرماديّون
قال البرتقالُ : أنا حيادي رماديّ
وقال الجرح : ما أصلُ العقيده ؟
قلتُ : أن تبقى وأمشي فيكَ كي أُلغيك . .
كي أشفيكَ منّي .
والسجن يتّسع . . البحار تضيق . .
أشهدُ أنني غطيتُهُ بالصمت قرب البحر
أشهدُ أنني ودّعته بين الندى والانتحار .

والطائراتُ تمرّ في يومي
كأن الحرب عاداتٌ ولم أذهب إلى الحرب الأخيرةِ .
يخلع السجّان ألواني ويعطيني زماني كي أفكّر فيكِ أو بكِ ..
كان يسألها ويسألها ويسألها :
متى تأتين من ساعات هذا السجن أو رئتي ؟
متى تأتين من يافا ولا أمضي إلى بلدي ؟
متى تأتين من لغتي ؟
متى تأتين كي نمضي إلى جسدي !

أنا ضد العلاقةِ :
مرَّ عصفورٌ وغطّاني وسافرَ

مرّ عصفور وجمّدني على الأحجار ظِلاً
هل يعيش الظلُّ ؟
جاء الليل . جاء الليل . . جاء الليلُ
من يدها ومن نومي .

أنا ضد العلاقة :
تشرب الأشجارُ قتلاها وتنمو في ضحاياها
أنا ضد العلاقة :
أن تكونَ بدايةُ الأشياء دائمة البداية –
هذه لغتي .
أنا ضدّ البدايةِ :

أن أواصل نهر موسيقى تورّخني وتفقدني تفاصيل الهوية
هذه لغتي .
أنا ضد النهايةِ :
أن يكون الشيء أوّله وآخره وأذهبُ —
هذه لغتي .

وأشهدُ أنه مات . الفراشة ، بائع الدم ، عاشق الأبواب.
لي زنزانةٌ تمتدُّ من سنة إلى . . لغةِ
ومن ليل إلى . . خيلِ
ومن جرح إلى . . قمحِ
ولي زنزانة جنسيّةٌ كالبحرِ
قال : حبيبتي موجٌ

وأمضى عمره في الحائط المتموّجِ . . السقف القريبِ
وحلمه الهاربْ .
أنا المتكلّم الغائبْ
سأنتظرُ انتظاري . كنتُ أعرفني
لأنَّ طفولتي رجلٌ أحبُّ . .
أحبُّ إمرأة تمرّ أمام ذاكرتي ونيراني .
ولا تبقى ولا تمضي . .
أُحبُّ يمامةً سمّيتُها بلدا .
أنا ضد العلاقة ، والبداية . والنهاية . ضدّ أسمائي .
أنا المتكلّم الغائبْ
يغيبُ — رأيتُ عينيها

شهدْتُ سقوط نافذتي :

سماويّ هو البحر الذي سَرَقَ الشوارعَ
من يديها قُرْبَ ذاكرتي .
يغيبُ —
وإنّ أجراساً تدقّ على المسافة بين خطوتها ومذبحتي .
سماويّ هو البحر الذي سرق الرسائلَ
من يديها قرب ذاكرتي .

وأحضرُ — من وراء الشيء عبرَ الشيء
أحضرُ ملء قُبلتها على مرأى من النسيان

أحضرُ من خلاياها
ومن عامودها الفقريّ أحضرُ
من إصابتها ببرق الشهوة العسليّ
أحضرُ ملء رعشتها
على مرأى من النسيان
لي زمَنٌ تؤرّخُهُ بذورُ الجنس والعشبُ الذي يمتدّ
خلف الشيء والنسيان
أحضرُ
كنتُ شاهدَهُ وشاهدها
وصرت شهيده وشهيدها
آتي من الشهداء

إلى الشهداء

أنا المتكلّم الغائبْ

أنا الحاضر

أنا الآتي .

والصوتُ أخضرُ

إنّ شلاّل السلاسل والبلابل يلتقي في صرخة

أو ينتهي في مقبره

والصوتُ أخضرُ .

قال لي أو قلت لي : أنتم مظاهرةُ البروق

وهم نشيد الإعتدال

والصوتُ موتُ المجزره .

ضدّ القرنفل . . ضد عطر البرتقال
ومع التراب . . مع اليد الأخرى . .
مع الكفّ التي تلج السلاسل والسنابل .
كدتْ أنسى . كاد ينسى التسميه :
أنتم جذوع البرتقال
وهُمُ نشيد الإعتدال .
والله لا يأتي إلى الفقراء ، إذ يأتي ، بلا سببٍ
وتأتي الأبجديةُ معولاً أو تسليه .
عادوا إلى يافا ، وما عدنا
لأنّ الله لا يأتي بلا سببٍ
ذهبنا نحو يافا — الأمنيةَ .

يا أصدقاء البرتقال — الزينة اتّحدوا !
فنحن الخارجين على الحنين . . الخارجين على العبير
نسير نحو عيوننا . . ونسير ضد المملكه
ضدَّ السماء لتحكم الفقراءَ
ضدَّ محاكم الموتى
وضدَّ القيد قومياً
وضدَّ وراثة الزيتون والشهداءِ
نحن الخارجين من العراء لتلبس الأشجار أثواب السماء نسير
ضد المملكه
ضدَّ المغنّي حين يرضى
ضد اعتقال المعركه ! .

والصوتُ أخضرُ . .
كان ينتظر المفاجأة – الجدارَ
يقول : يومٌ ما سيأتي من هواء البحرِ ،
أو من خصرها المشدود بين الماء والأملاحِ
آخُذُ موجَةً وأعيد تركيب العناصر :
خصرها
يدها
نعاس جفونها
وبروق ركبتها .
سآخذ موجة وتكون صورتها وأغنيتي .
وأشهدُ أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والإنفجار .

الأرض تبدأ من يديهِ
وكان يرمي الأرض بالأحلامِ
قنبلتي قرنفلتي
وحاول أن يموت فلم يَفُزْ بالموتِ
كان محاصراً بتشابُهٍ يعطي المساءَ مداه . ينتظر النتيجة :

كان لي يومٌ يكونْ
وفراشةٌ بَنَتِ السجون

والأرض تبدأ من يديهِ . وكان ضد الأرض . .
ضد مساحة الصدَف التي تأتي وتذهب في الفصول .

ألمستحيل هويـتي
وهويتي ورق الحقول .

والأرض تبدأ من يديهِ . كأنني سكـّانُ نفسي .
غاصتِ الجدرانُ في عضلاته ومحاولاتُ الانتحار .

يا من يحنُّ إليك نبضي
هل تذكرين حدود أرضي !

والأرض تبدأ من يديه ، ومن زغاريد القرى البيضاءِ
تبدأ من دفاتر صِبـْيَةٍ يتعلمون

الأبجديةَ فوق ألغام الحروب وخلف أبواب النهار :

جاء وقتُ الانفجارْ
وعلى السيف قمرْ
وطني ليس جدارْ
وأنا لستُ حجرْ

والأرض تبدأ من يديه ومن نهايتها .
ويسأل : أين وقتي ؟
قال : إنّ الوقت من قمحٍ
وقال : رصاصة أولى تثير الأرض توقظها ، فتنكشف
الفضائح والعصافيرُ العنيفةُ واحتمالاتُ البداية .

من هنا . . من هذه الأجراس في جدران سجني
يبدأ الوقت الفدائي

أخرجي من أيِّ ضلعٍ
خنجراً أو سوسنه
وادخلي في أيِّ ضلعٍ
خنجراً أو سوسنه .

والأرض تبدأ من نسيج الجرح — أشبهُها
وأمشي فوق رأس الرمح — تشبهني
وأمشي في لهيب القمح

واشتعلتْ يداهُ
فرأى يدين جديدتين
يدين حافيتين
هل سقط الجدار ؟
سقطتْ كواكبُ فوق عينيه ، فغنّى أو تنفس :
إنّ قنبلتي قرنفلتي
أُريد الانتحار الانتحار الانتحار .

— من أين يبدأ جسمه ؟
* من كلّ قيد وانكسار
قال للبركان : يا بيتي البديل

وجدتُ وقت الانفجار .

والياسمينُ اسمٌ لأمّي . قهوةُ الصبحِ .
الرغيفُ الساخنُ . النهرُ الجنوبيُّ . الأغاني
حين تتّكيء البيوتُ على المساء
أسماء أمّي .

ــ من أين تبدأ أرضهُ ؟
* من جسمه المحتلّ بالمستعمرات .
الطائرات . الانقلابات . الخرافات . الأناشيدِ
الرديئةِ ، والمواعيد البطيئة .

والياسمين اسمٌ لأمّي . باقةُ الزّبَدِ .
الأغاني حين تنحدر الجبال إلى الخريف . القطنُ .
أصواتُ البواخر حين تمخرني ،
وأسماء السبايا والضحايا .
أسماءُ أمي .

– من أين يبدأ صوتُهُ !؟
* من أوّل الأيام حين تبارَزَ الحكماء في مدح النظام
ومُتعة السّفر البعيد
فأتى ليرميهم بجُثّتهِ
وكان دويّها .. والأنبياء .

لكُـمُ انتصاراتٌ ولي حـُلمٌ
دمي يمشي وأتبعه – إليها
لكُـمُ انتصارات ولي يومٌ
وخطوتـُها . .
فيا دَميَ اختصرني ما استطعتْ .

وأُريدها :
من ظلّ عينيها إلى الموج الذي يأتي من القدمين ،
كاملة الندى والانتحارِ .
وأُريدها :
شجرُ النخيل يموت أو يحيا .

وتتّسع الجديلةُ لي
وتختنق السواحلُ في انتشاري
وأريدها :
من أول القتلى وذاكرة البدائيّين
حتى آخر الأحياء
خارطةً
أمزّقها وأطلّقها عصافيراً وأشجاراً
وأمشيها حصاراً في الحصار .
أمتدُّ من جهة الغد الممتدّ من جهة انهياراتي العديدة
هذه كفّي الجديدة
هذه ناري الجديدة

وأُمعْدنُ الأحلام

هل عادوا إلى يافا ولم تذهبْ ؟

سأذهب في دمي الممتد فوق البحر فوق البحر فوق البحر

هل بدأ النزيف ؟

أُريدها .

قد أحرقتني من جهات البحرِ ،

والحُرّاسُ ناموا عند زاوية الخريف .

والوقتُ سرداب وعيناها نوافذ عندما أمشي إليها .

والوقت سرداب وعيناها ظلام حين لا أمشي إليها .

وأُريدها

زمني أصابعها . أعود ولا أعود

أسرّحُ الماضي وأعجنه تراباً
ليست الأيام آباراً لأنزلَ
ليست الأيام أمتعة لأرحلَ
لا أعودُ ..
لأنها تمشي أمامي في يدي .
تمشي أمامي في غدي .
تمشي أمامي في انهياراتي .
وتمشي في انفجاراتي .
أعودُ ..
لأنها ذرّاتُ جسمي . أيُّ ريح لم تبعثرني على الطرقات .
كان السجن يجمعني . يُرَتّبني وثائقَ أو حقائق .

أيُّ ريح لا تبعثرني
أعود . .
لأنها كفني . أعود لأنها بلدي
أعود
لأنها
وطني
أعود

حين انحنتْ في الريحِ
قال : تكون قنطرةً وأعبرها إليها
وبنى أصابعه من الخشب المخبّأ في يديها .

البندقيّةُ والفضاء وآخر القتلى . سأدفن جثّتي في راحتيها.
وستضرمين النار .
قالت : أين كنتَ
ففرَّ من يدها إلى اليوم المرابط خلف قامتها .
وغنّى : أيها النّدَمُ اختصرني بندقيّه
قالت : لتقتلني ؟
فقال : لكي أُعيد لي الهويّه

وقفتْ ، كعادتها ، فعاد من انحناءتها إلى قدميهِ
كان طريقهُ طرقاً وكان نزيفُهُ أفقاً
وكان يدور في الماضي ولا يجد اليدين وكان يحلم باكتمال الحلمِ

ما بيني وبين اسمي بلادٌ .
حين سمّيت البلاد فقدتُ أسمائي . وحين مررتُ باسمي
لم أجد شكل البلاد .
الحلم جاء الحلم جاء وكان يسأله :
مَنِ الأصلُ العيون أم البلاد ؟ .

قال المغنّي للضفاف :
الفرقُ بين الضفتين قصيدتي .

قال المهاجر للوطنْ :
لا تنسني .

والياسمينُ اسمٌ لأمي . والزمنْ
عشبٌ على الجدرانِ
قال البحر . قال الرمل . قال البيت . قال الحقل . قال
الصمتُ
لكنَّ المغنّي قال قرب الموت :

إنَّ الفرق بين الضفتين قصيدتي

وأراد أن يلغي الوطن
وأراد أن يجد الوطن .

هل تُكلمين البحر ؟
هل تأتين من ساعات هذا الموج
أم تأتين من رئتي . . وهل تأتين ؟
هل نمشي على السكين برقاً
أم دماً نمشي ؟
أحبّكِ . . أم أحبُّ نتيجتي في حُبّكِ التكوين ؟
قد قالت لي الأيّامُ :
إذهب في الزمانِ
تجد مكانك جاهزاً في وقت عينيها
فقلتُ : العمرُ لا يكفي لقُبلتها
وهذا العمر . .

قد قالت لي الأيامُ :
إذهب في المكان
تجد زمانك عائداً في موج عينيها
فقلت : الجسمُ لا يكفي لنظرتها
وهذا البحر

ما اسمُ الأرض ؟
بحرٌ أخضرٌ . آثار أقدام . دويلاتٌ . لصوص . عاشقات.
أنبياء . آهِ ما اسمُ الأرض ؟
شكلُ حبيبة يرميكَ قرب البحر .

ما اسمُ البحر ؟
حدُّ الأرض . حارسُها . حصار الماء . أزرقُ أزرقُ
امتدَّتْ يدان إلى عناق البحر فاحتفل القراصنةُ
البدائيّون والمتحضرون بجُثّةٍ . فصرختُ : أنت
البحرُ . ما اسمُ البحر ؟
جسمُ حبيبة يرميك قرب الأرض .

قد قالت لنا الأيّام :
تلتقيان . تلتحمان . تنهمران
قلت: لها انفجاراتٌ
كأنَّ البرتقال لهيبُها الأبديُّ

تنفجرين . تنفجرين . تنفجرين في صدري وذاكرتي .
وأقفز من شظايـــاك الطليقـــة وردةً ، ورصاصة
أولى ، وعصفوراً على الأفق المجاورْ
ولي امتدادٌ في شظاياك الطليقة .
إنَّ نهراً من أغاني الحب يجري في شظيَّـه .
قد بعثرني الريحُ ، فاختنقتْ بأصوات الملايينِ
ارتفعتُ على الصدى وعلى الخناجر .
شكراً ! أنام على الحصى فيطير
شكراً للندى .
وأمرُّ بين أصابع الفقراء سنبلة ، ولافتةً ، وصيغةَ بندقيّه .

ضدَّ اتجاه الريحِ

تنفجرين تنفجرين في كل اتجاهٍ
تنتهي لُغَتُهُ الأغاني حين تبتدئين
أو تجدُ الأغاني فيك معدنها . . رصاصتها . . وصورتها
أقول : البحرُ لا
والأرض لا
بيني وبينك « نحنُ » .
فلنذهب لنلغينا ويتّحد الوداع .

الآن أغنيتي تمرّ . .
تمرُّ أغنيتي على أفق نبيذيّ .
ويسقط في أغانيك البياض .

الآن أغنيتي تمرّ . . تمرُّ أغنيتي على مُدُن السواد .
فتسرّحين الشّعر ، أو تتناثرين على الخرائط والبلاد .
والآن أغنيتي تمرّ . .
تمرُّ أغنيتي على حَجرٍ فيزهر في يديكِ اسمي ويتّحد اللقاء .
ماتوا ولا تدرين . لكنَّ الجدار يقول ماتوا في تساقطه
ولا تدرين . ماتوا . .
تلك أغنيتي ووجهك طائرٌ ومدى
يودّعني الوداع
وساعةُ الدم دقّت الموتى
وموعدَنا النحاسيّ ، الدخانيّ ، الحريريّ المزوّد بالزلازل
والمقيّدَ بالجداثل .

الآن تنتحرين .. تنتصرين .. تنطفئين .. تشتعلين في
الميدان والنسيان
دقّتْ ساعةُ الدم
دقّت الموتى
ليفتتحوا نشيدَ الفرق بين العشق واللغة الجميله .
هو أنتِ
أنتِ أنا
يغيبُ الحاضرُ العلنيُّ .
يأتي الغائب السريُّ ..
يلتحمان ..
يتحدان في المتكلّم المفقود بين البحر والأشجار والمدن

الذليلة .
والآن أشهد أني غطّيته بالصمت قرب البحر . .
أُشهد أني ودعته بين الندى والانتحار .

قال : انتحرتُ . وردَّ معتذراً : أتيتُ .
وقال حارسُهُ الزمانيُّ : انتحاركَ انتصار .
الانتحار – الانتصار يمدُّ جسراً
هكذا يبنون نهراً
قال : ماتوا
ردَّ معتذراً : لقد وضعوا حدود الانتحار .

والآن أغنيتي تمرُّ .. تمرُّ أغنيتي
وتلتحق الخطى بدمي
دمي المتقدِّم
الفتياتُ تخرجُ من أزيز الطائراتِ
البحرُ يخرج من خدوش الاسطواناتِ
المدينةُ قد أعدَّتْ عُرْسها
وجنازتي

وتمرُّ أغنيتي . وترمي عادة الأزهار في الأنهار .
سيّدتي ! سأهديك انتحاري الساطعَ اختصري نعاسكِ
وانفجار الشارعِ ، اختصري المسافة بين
سكّيني وصدري

واستقرّي أنتِ بينهما بلاد .
النهرُ يعفيني من التاريخ
والجلاّد أعفاني من الذكرى
فأنسى حصّتي من جثتي الأخرى
وأهديك التتمّة والحوار .

قال انتحرتُ .
وردّ معتذراً : أتيت .
وقال حارسه : رأيتُ القمح ملء يديه .
عند الانتحار
كانت يداهُ خريطتين : خريطة للحلم تمطر حنطةً

وخريطةً لمحاورات الانتظار
والطائرات ؟ سألتُ
قال : تمرُّ في يومي القديم . . يحَلّقُ الأطفال . يبتهجون
في السنة الجديدة . يجعلون البحر أصغر من زوارقهم
أنا أعتاد هذا الموت . أعتاد الرحيل إلى النهار .

والآن أشهد أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار.

الحلم يأخذ شكله
فيخاف
لكنّ المدينة واقفه

في أوج قيدي
وانفجار العاصفه
مَطرٌ على خيلٍ
وأعددنا لك الفرح الترابيَّ الجديد
خيل على ليلٍ
وأعددنا لك الفصح الخواتم والنشيد
والحلم يأخذ شكله
ويصير صورتك العنيفة
موتي : أو اختصري هنا موتاكِ
كوني ياسميناً أو قذيفه .
والحلم يأخذ شكله

فيخاف
لكنّ المدينة واقفه
في قمّة الجرح الجديد
وفي انفجار العاصفه .
ماذا تقول الريح ؟
نحن الريح نقتلع المراكب والكواكب
والخيام مع العروش الزائفه
ماذا تقول الريحُ
نحن الريحُ
ننشر عار فخذيك السماويينِ
ننشر عارنا

ونُطيل عمر العاصفه .
ليلٌ على موتٍ
وأعددنا لك المّهدَ الحضانةَ والجبلْ
والحلم يشبهنا
ويشبهكِ المغني والمنادي والبطلْ
والحلم يَأخذ شكله
فيخاف
لكنّ المدينة واقفهْ
في شعلة النار الطليقة
في شرايين الرجال
ذوبي ! أو انتشري رماداً أو جمال

ماذا تقول الريح ؟

نحن الريح

نحن الريح

نحن الريح ...

اعراس

١٩٧٧

عاشقٌ يأتي من الحرب إلى يوم الزفافْ
يرتدي بدلتَهُ الأولى
ويدخلْ
حلبة الرقص حصاناً
من حماس وقرنفلْ

وعلى حبل الزغاريد يُلاقي فاطمه

وتُغنّي لهما
كل أشجار المنافي
ومناديل الحداد الناعمهْ

ذَبّلَ العاشقُ عينيه
وأعطى يَدَهُ السمراء للحنّاء
والقطن النسائيّ المقدس

وعلى سقف الزغاريد تجيء الطائرات
طائرات
طائرات

تخطفُ العاشقَ من حضن الفراشه
ومناديل الحداد
وتُغنّي الفتيات :
قد تزوّجْتَ
تزوجت جميع الفتيات
يا محمّدْ !
وقضيتَ الليلة الأولى
على قرميد حيفا
يا محمد !
يا أمير العاشقين
يا محمد !

وتزوَّجتَ الدوالي

وسياج الياسمين

يا محمد !

وتزوَّجتَ السلالمْ

يا محمد

وتقاوم

يا محمد

وتزوَّجْتَ البلاد

يا محمد !

يا محمد !

كان ما سوف يكون

إلى راشد حسين



في الشارع الخامس حيّاني . بكى . مال على السور
الزجاجي ، ولا صفصاف في نيويورك .
أبكاني . أعاد الماءَ للنهر . شربنا قهوة . ثم افترقنا في
الثواني .

منذ عشرين سنهْ
وأنا أعرفه في الأربعينْ

وطويلاً كنشيدٍ ساحليّ ، وحزينْ
كان يأتينا كسيفٍ من نبيذٍ . كان يمضي كنهايات
صلاهْ
كان يرمي شعَره في مطعم «خْريستو»
وعكا كلها تصحو من النومِ
وتمشي في المياه
كان أسبوعاً من الأرض ، ويوماً للغزاهْ
ولأمي أن تقول الآن : آه !

ليديه الوردُ والقيدُ . ولم يجرحْهُ خلفَ السور إلاّ
جرحُهُ السيّدُ . عُشّاقٌ يجيئون ويرمون المواعيدَ .

رفعنا الساحل الممتدَّ . دشّنا العناقيدَ . اختلطنا في
صراخ الفيجن البريّ . كسرنا الأناشيدَ . انكسر نا
في العيون السود . قاتلنا . قُتلنا . ثم قاتلنا . وفرسان
يجيئون ويمضونَ .

وفي كل فراغْ
سنرى صمت المغني أزرقاً حتى الغيابْ
منذ عشرين سنهْ
وهو يرمي لحمه للطير والأسماك في كل اتجاه
ولامي ان تقول الآن : آه

ابنُ فلاّحينَ منْ ضلعِ فلسطينَ
جنوبيّ
قمحيّ مثل دوريّ
قويّ
فاتحُ الصوتِ
كبيرُ القدمين

واسع الكف . فقير كفراشه
أسمرٌ حتّى التداعي
وعريض المنكبين
ويرى أبعد من بوابة السجن

يرى أقرب من أطروحة الفن
يرى الغيمة في خوذة جنديّ
يرانا ، ويرى كرت الاعاشة

وبسيطٌ . . في المقاهي واللغهْ
ويحب الناي والبيرةَ
لم يأخذ من الألفاظ إلاّ أبسط الألفاظ
سهلاً كان كالماء .
بسيطاً . . كعشاء الفقراء .

كان حقلاً من بطاطا وذره

لا يحب المدرسهْ
ويحب النثر والشعر
لعل السهل نثرٌ
ولعل القمح شعرٌ .

ويزورُ الأهلَ يوم السبتِ
يرتاح من الحبر الإلهيَ
ومن أسئلة البوليسِ .
لم ينشر سوى جزئين من أشعاره الأولى
وأعطانا البقيهْ

شوهدت[٩] خطوتُهُ فوقَ مطار اللد من عشر سنين
واختفى . .

كان ما سوف يكونُ
فضحتني السنبله
ثم أهدتني السنونو
لعيون القتلة

. . شاحباً كالشمس في نيويورك :
من أين يمر القلب ؟ هل في غابة الاسمنت ريش لحمام ؟
وبريدي فارغٌ . والفجر لا يلسعُ .

والنجمة لا تلمع في هذا الزحام .

ومسائي ضيّقٌ . جسم حبيبي ورقٌ . لا أحد حول
مسائي « يتمنى أن يكون النهرَ والغيمةَ » . . من
أين يمر القلب ؟ مَنْ يلتقط الحلم الذي يسقط قرب
الأوبرا والبنك ؟ شلاّلُ دبابيس سيجتاح الملذات
التي أحملها .

لا أحلم الآن بشيء
أشتهي أن أشتهي
لا أحلم الآن بغير الانسجام

أشتهي
أو
أنتهي
لا . ليس هذا زمني

شاحباً كالشمس في نيويوركَ
أعطيني ذراعي لأعانقْ
ورياحي لأسير .

ومن المقهى الى المقهى . اريد اللغة الأخرى
أريد الفرق بين النار والذكرى

أريد الصفة الأولى لأعضائي
وأعطني ذراعي لأعانق
ورياحي لأسير
ومن المقهى إلى المقهى
لماذا يهرب الشعر من القلب إذا ما ابتعدتْ يافا ؟ لماذا
تختفي يافا إذا عانقتُها ؟
لا . ليس هذا زمني .

وأريد الصفة الأولى لأعضائي
وأعطني ذراعي لأعانق
ورياحي لأسير

. . . واختفى في الشارع الخامس ، أو بوابة القطب
الشماليّ . ولا أذكر من عينيه إلاّ مدناً تأتي وتمضي .
وتلاشى . . وتلاشى . . .

والتقينا بعد عام في مطار القاهرة
قال لي بعد ثلاثين دقيقة :
« ليتني كنت طليقاً
في سجون الناصرة »

نام أسبوعاً . صحا يومين . لم يذهب مع النيل إلى الأرياف
لم يشرب من القهوة إلاّ لونها .

لم يرَ المصريّ في مصرَ
ولم يسأل سوى الكُتّاب عن شكل الصراعِ الطبقيّ
ثم ناداه السؤال الأبديّ الاغتراب الحجريّ
قلت : من أي نبيّ كافرٍ قد جاءكَ البعدُ النهائيّ ؟

بكى من كَسَل في نظراتي . هل تغيرت ؟
تغيّرتُ . ولم تذهب حياتي
عبثاً .
مال إلى النيل وقال : النيل ينسى ؟
قلت : لا ينسى كما كنا نظن
وتذكّرنا معاً إيقاعنا الماضي

وموجاتِ السنونو فوق كفٍّ تقرع الحائطَ
والأرضَ التي نحملها في دمنا كالحشرات
وتذكرنا معاً إيقاعنا الماضي وموتَ الأصدقاءْ
والذين اقتسموا أيامنا ، وانتشروا
لم يحبونا كما نشاء
لم يحبونا ولكن عرفونا . .

كان يهذي عندما يصحو . ويصحو عندما يبكي
ويمشي كخيام في البعيد العربيّ
ذهب العمر هباء
وفقدت الجوهريّ

واختفى قرب غروب النيل
أعددتُ له مرثية أخرى وجنّاز نخيلْ

يا انتحاري المتواصلْ
أوقف العمرَ لكي نبدأ من أي رحيلْ
وتأجّجْ كنباتات الجليل
وتوهّجْ كقتيل

يا انتحاري المتواصل
قف على ناصبة الحلم وقاتلْ
فلَكَ الأجراسُ ما زالت تدقٌّ

ولك الساعة ما زالت تدقُّ

وتلاشي مرة أخرى

وخانتني الغصون
كان ما سوف يكونُ
فضحتني السنبله
ثم أهدتني السنونو
لسيوف القتله

كانت نيويورك في تابوتها الرسمي تدعونا إلى تابوتها .

في الشارع الخامس حيّاني . بكى . مال على نافورة
الاسمنتِ . لا صفصاف في نيويورك . أبكاني .
أعاد الظلَ للبيت . اختبأنا في الصدى . هل مات
منا أحَدٌ ؟ كلاّ . تغيّرتَ قليلاً ؟ لا . هل الرحلة
ما زالت هي الرحلة والميناءُ في القلب ؟ . نعم .

كان بعيداً وبعيداً ونهائيّ الغيابْ
دَخّنَ الكأسَ . .
تلاشى
كغزالٍ يتلاشى
في مروجٍ تتلاشى في الضبابْ

ورمى سيجارة في كبدي وارتاحَ

لم ينظر إلى الساعةِ

لم يسرقْهُ هذ الشَحرُ الواقفُ تحت الطابق العاشر في
منهاتّنَ . التفَّ بذكراه . . تغشّاه رنينُ الجرس
السريّ . مَرّتْ بين كفينا عصافيرُ عصافيرُ وموتٌ
عائليّ . ليس هذا زمني . عاد شتاءٌ آخر . ماتتْ
نساءُ الخيل في حقل بعيد . قال إنّ الوقت لا يخرج
مني . فتبادلتُ وقلبي مُدُناً تنهار من أوّل هذا
العمر حتى آخر الحلمِ . .

أنبقى هكذا نمضي إلى الخارج في هذا النهار البرتقالي
فلا نلمس إلاّ الداخل الغامضَ ؟

من أين أتيتَ ؟
اختَرقت عصفورةٌ رمحاً
فقلتُ اكتشفتْ قلبي
أنبقى هكذا نمضي إلى الداخل في هذا النهار البرتقاليّ
فلا نلمس إلاّ شرطة الميناء ؟

يهذي خارج الذكرى : أنا الحامل عبءَ الأرض ،
والمنقذ من هذا الضلال . الفتيات انتعلت روحي
وسارت . والعصافير بنت عشا على صوتي وشقتني
وطارت في المدى . .
لم يتغيّر أيٌّ شيء

والأغاني شردتني شردتني
ليس هذا زمني .
لا ، ليس هذا وطني .
لا ليس هذا بدني .

كانَ ما سوف يكونُ
فضحته السنبلة
ثم أهدته السنونو
لرياح القتلهْ . .

أحمد الزعتر

ليدين من حَجَر وزعترْ
هذا النشيدُ . . لأحمد المنسيّ بين فراشتين
مَضَت الغيومُ وشرّدتني
ورمتْ معاطفها الجبالُ وخبأتني

. . نازلاً من نحلة الجرح القديم إلى تفاصيل
البلاد وكانت السنةُ انفصال البحر عن مدن

الرماد وكنت وحدي
ثم وحدي . . .
آه يا وحدي ؟ وأحمدْ
كان اغترابَ البحر بين رصاصتين
مُخيّماً ينمو ، ويُنجب زعتراً ومقاتلين
وساعداً يشتدُّ في النسيان
ذاكرةً تجيء من القطارات التي تمضي
وأرصفةً بلا مستقبلين وياسمين
كان اكتشاف الذات في العرباتِ
أو في المشهد البحريّ
في ليل الزنازين الشقيقةِ

في العلاقات السريعة
والسؤال عن الحقيقهْ
في كلّ شيء كان أحمدُ يلتقي بنقيضهِ
عشرين عاماً كان يسألْ
عشرين عاماً كان يرحلْ
عشرين عاماً لم تلده أمه إلاّ دقائق في
إناء الموز
وانسَحَبَتْ .
يريد هويةً فيصاب بالبركانِ ،
سافرتِ الغيومُ وشرّدتني
ورَمَتْ معاطفها الجبالُ وخبّأتني

أنا أحمد العربيُّ ـــ قالَ
أنا الرصاصُ البرتقالُ الذكرياتُ
وجدتُ نفسي قرب نفسي
فابتعدتُ عن الندى والمشهد البحريّ
تل الزعتر الخيمه
وأنا البلاد وقد أتَتْ
وتقمّصتني
وأنا الذهاب المستمر إلى البلاد
وجدتُ نفسي ملء نفسي ...

راح أحمدُ يلتقي بضلوعه ويديه

كان الخطوة ـــ النجمة
ومن المحيط إلى الخليج ، من الخليج إلى المحيط
كانوا يُعدّون الرماحَ
وأحمد العربيُّ يصعد كي يرى حيفا
ويقفزَ .
أحمد الآن الرهينهْ
تركتْ شوارعَها المدينة
وأتتْ إليه
لتقتلهْ
ومن الخليج إلى المحيط ، من المحيط إلى الخليج
كانوا يُعدّون الجنازةَ

وانتخاب المقصلهْ

أنا أحمدُ العربيُّ ـ فليأتِ الحصارْ
جسدي هو الأسوار ـ فليأت الحصار
وأنا حدود النار ـ فليأت الحصار
وأنا أحاصركم
أحاصركم
وصدري بابُ كلّ الناس ـ فليأت الحصار

لم تأتِ أغنيتي لترسم أحمد الكحليَّ في الخندقْ
الذكرياتُ وراء ظهري ، وهو يوم الشمس والزنبق

يا ايها الولد الموزَّعُ بين نافذتين
لا تتبادلان رسائلي
قاومْ
إنَّ التشابه للرمال . . . وأنتَ للأزرقْ

وأعُدُّ أضلاعي فيهرب من يدي بردى
وتتركني ضفاف النيل مبتعداً
وأبحثُ عن حدود أصابعي
فأرى العواصمَ كلّها زَبَدا . . .

وأحمدُ يفرك الساعات في الخندقْ

لمْ تأتِ أغنيتي لترسم أحمد المحروق بالأزرق
هو أحمد الكَوْنيُّ في هذا الصفيح الضيّقِ
المتمزّق الحالمْ
وهو الرصاص البرتقاليُّ .. البنفسجيةُ الرصاصيّةْ
وهو اندلاعُ ظهيرة حاسمْ
في يو م حريّةْ
يا أيها الولد المكرّس للندى
قاوِمْ !
يا أيها البلد ـــ المسدّس في دمي
قاوِمْ !
الآن أكمل فيك أغنيتي

وأذهبْ في حصاركْ
والآن أكمل فيك أسئلتي
وأولد من غبارك
فاذهب إلى قلبي تجد شعبي
شعوباً في انفجارك

... سائراً بين التفاصيل اتكأتُ على مياهٍ
فانكسرتُ
أكلّما نهدَتْ سفرجلةٌ نسيتُ حدود قلبي
والتجأتُ إلى حصارٍ كي أحدّد قامتي
يا أحمد العربيُّ ؟

لم يكذب عليّ الحب . لكن كُلّما جاء المساء
امتصّني جرس بعيد
والتجأتُ إلى نزيفي كي أُحدّد صورتي
يا أحمد العربيّ .
لم أغسل دمي من خبز أعدائي
ولكن كُلّما مرّت خطاي على طريق
فرّت الطرقُ البعيدةُ والقريبةُ
كلّما آخيتُ عاصمة رمتني بالحقيبةِ
فالتجأتُ إلى رصيف الحلم والأشعار
كم أمشي إلى حُلُمي فتسبقني الخناجرُ
آه من حلمي ومن روما !

جميلٌ أنت في المنفى
قتيلٌ أنت في روما
وحيفا من هنا بدأتْ
وأحمد سُلّم الكرمل
وبسملة الندى والزعتر البلدي والمنزلْ

لا تسرقوه من السنونو
لا تأخذوه من الندى
كتبت مراثيها العيونُ
وتركت قلبي للصدى

لا تسرقوه من الأبدْ
وتبعثروه على الصليب
فهو الخريطةُ والجسد
وهو اشتعال العندليب

لا تأخذوه من الحَمَامْ
لا ترسلوهُ إلى الوظيفهْ
لا ترسموا! دمه وسام
فهو البنفسج في قذيفه

. . . صاعداً نحو التئام الحلم

تَتّخذُ التفاصيلُ الرديئةُ شكل كُمثرى
وتنفصلُ البلادُ عن المكاتبِ
والخيولُ عن الحقائبِ
للحصى عَرَقٌ . أقبّل صمت هذا الملح
أعطي خطبة الليمون لليمون
أوقدُ شمعتي من جرحي المفتوح للأزهار
والسمك المجفّف
للحصى عَرَقٌ ومرآةٌ
وللحطّاب قلبُ يمامةٍ
أنساكِ أحياناً لينساني رجالُ الأمنِ
يا امرأتي الجميلة تقطعين القلب والبَصَل

الطريَّ وتذهبين إلى البنفسج
فاذكريني قبل أن أنسى يديَّ

وصاعداً نحو التئام الحلمِ
تنكمش المقاعد تحت أشجاري وظلّكِ . . .
يختفي المتسلّقون على جراحك كالذبابِ الموسميّ
ويختفي المتفرجون على جراحك
فاذكريني قبل أن أنسى يديَّ !
وللفراشات اجتهادي
والصخورُ رسائلي في الأرض
لا طروادة بيتي

ولا مسّادةٌ وقتي
وأصعد من جفاف الخبز والماء المصادَرِ
من حصان ضاع في درب المطارِ
ومن هواء البحر أصعدُ
من شظايا أدْمَنَتْ جسدي
وأصعدُ من عيون القادمين إلى غروب السهلِ
أصعدُ من صناديق الخضارِ
وقوَّة الأشياء أصعدُ
أنتمي لسمائي الأولى وللفقراء في كل الأزقّة
ينشدون
صامدون

وصامدون

وصامدون

كان المخيّمُ جسم أحمد
كانت دمشقُ جفونَ أحمدْ
كان الحجاز ظلال أحمد
صار الحصارُ مرور أحمد فوق أفئدة الملايين
الأسيرة
صار الحصار هجوم أحمد
والبحر طلقته الأخيره !

يا خَصْرَ كلّ الريح

يا أسبوع سُكّرْ !

يا اسم العيون ويا رُخاميّ الصدى

يا أحمد المولود من حجر وزعترْ

ستقول : لا

ستقول : لا

جلدي عباءةُ كلّ فلاح سيأتي من حقول التبغ

كي يلغي العواصم

وتقول : لا

جسدي بيان القادمين من الصناعات الخفيفةِ

والتردد . . والملاحم

نحو اقتحام المرحله
وتقول : لا
ويدي تحياتُ الزهور وقنبله
مرفوعة كالواجب اليوميّ ضدً المرحله
وتقول : لا
يا أيها الجسد المُضرج بالسفوحِ
وبالشموس المقبلهْ
وتقول : لا
يا أيها الجسد الذي يتزوج الأمواج
فوق المقصلهْ
وتقول : لا

وتقول : لا
وتقول : لا !

وتموت قرب دمي وتحيا في الطحين
ونزور صمتك حين تطلبنا يداكَ
وحين تشعلنا اليراعهْ
مشت الخيول على العصافير الصغيرةِ
فابتكرنا الياسمين
ليغيب وجهُ الموت عن كلماتنا
فاذهب بعيداً في الغمام وفي الزراعه
لا وقتَ للمنفى وأُغنيتي . . .

سيجرفُنا زحامُ الموت فاذهب في الزحام
لنُصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين
واذهب إلى دمك المهيّأ لانتشارك
واذهب إلى دميَ الموحّد في حصاركِ
لا وقتَ للمنفى . . .
وللصور الجميلة فوق جدران الشوارع والجنائز
والتمني
كتبتْ مراثيها الطيورُ وشرّدتني
ورمتْ معاطفها الحقولُ وجمعتني
فاذهبْ بعيداً في دمي ! واذهب بعيداً في الطحين
لنُصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين

يا أحمدُ اليوميّ !
يا اسم الباحثين عن الندى وبساطة الأسماء
يا اسم البرتقاله
يا أحمد العاديّ !
كيف محَوْتَ هذا الفارقَ اللفظيّ بين الصخر والتفّاح
بين البندقية والغزاله !
لا وقت للمنفى وأغنيتي . .
سنذهب في الحصار
حتّى نهايات العواصم
فاذهبْ عميقاً في دمي
اذهبْ براعمْ

واذهبْ عميقاً في دمي
اذهبْ خواتم
واذهب عميقاً في دمي
اذهب سلالم
يا أحمدُ العربيُّ . . قاومْ !
لا وقت للمنفى وأغنيتي . .
سنذهب في الحصار
حتى رصيف الخبز والأمواجِ
تلك مساحتي ومساحة الوطن – المُلازِمْ
موت أمام الحُلُمِ
أو حلم يموتُ على الشعار

فاذهب عميقاً في دمي واذهب عميقاً في الطحين
لنُصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين

... ولَهُ انحناءات الخريف
لَهُ وصايا البرتقال
لَهُ القصائد في النزيف
لَهُ تجاعيدُ الجبال
لَهُ الهتافُ
لَهُ الزفاف
لَهُ المجلاّتُ المُلوّنة
المراثي المطمئنةُ

ملصقات الحائط
ألعَلَمُ
التقدُّمُ
فرقةُ الإنشاد
مرسوم الحداد
وكل شيء كل شيء كل شيء
حين يعلن وجهه للذاهبين إلى ملامح وجههِ
يا أحمد المجهول !
كيف سكَنْتَنا عشرين عاماً واختفيت
وظَلَّ وجهك غامضاً مثل الظهيره
يا أحمد السريّ مثل النار والغابات

أشهرْ وجهك الشعبيَّ فينا
واقرأ وصيّتكَ الأخيرة ؟
يا أيها المتفرّجون ! تناثروا في الصمت
وابتعدوا قليلاً عنه كي تجدوهُ فيكم
حنطة ويدين عاريتين
وابتعدوا قليلاً عنه كي يتلو وصيّتَهُ
على الموتى إذا ماتوا
وكي يرمي ملامحَهُ
على الأحياء ان عاشوا !

أخي أحمد !

وأنتَ العبدُ والمعبود والمعبد
متى تشهدْ
متى تشهدْ
متى تشهدْ ؟

قصيدة الرمل

إنّهُ الرملُ
مساحاتٌ من الأفكار والمرأةِ ،
فلنذهب مع الإيقاع حتّى حتفنا
في البدء كان الشجر العالي نساء
كان ماء صاعداً ، كان لغة .
هل تموت الأرض كالإنسان
هل يحملها الطائر شكلاً للفراغْ ؟

البداياتُ أنا
والنهاياتُ أنا

والرمل شكل واحتمال .
برتقال يتناسى شهوتي الأولى .
أرى فيما أرى النسيان ، قد يفترس الأزهار والدهشةَ .
والرملُ هو الرمل . أرى عصراً من الرمل يغطينا ،
ويرمينا من الأيام .
ضاعت فكرتي وامرأتي ضاعتْ
وضاع الرمل في الرملِ . .

البداياتُ أنا
والنهاياتُ أنا

والرمل جسم الشجر الآتي ،
غيومٌ تشبه البلدانَ .
لون واحدٌ للبحر والنومِ .
وللعشاق وجه واحدٌ ،
. . . وسنعتاد على القرآن في تفسير ما يجري ،
سنرمي ألفَ نهرٍ في مجاري الماء .
والماضي هو الماضي ، سيأتي في انتخابات المرايا
سيّدَ الأيّامِ .

والنخلةُ أمُّ اللغة الفصحى .
أرى ، فيما أرى ، مملكة الرمل على الرمل
ولن يبتسم القتلى لأعياد الطبولْ
ووداعاً . . . للمسافات
وداعاً . . . للمساحات
وداعاً للمغنين الذين استبدلوا « القانون » بالقانون كي
يلتحموا بالرمل . .
مرحى للمصابينَ برؤيايَ ، ومرحى للسيولْ .

البداياتُ أنا
والنهاياتُ أنا

أمشي إلى حائط إعدامي كعصفور غبيٍّ ،
وأظن السهمَ ضلعي
ودمي أغنيةَ الرمّان . أمشي
وأغيب الآن في عاصفة الرمل ،
سيأتي الرمل رملياً
وتأتين إلى الشاعر في الليل ، فلا
تجدين الباب والأزرق ،

ضاعت لفظتي وامرأتي ضاعتْ . .

سيأتي . . سوف يأتي عاشقان

يأخذان الزنبق الهارب من أيامنا
ويقولان أمام النهر :
كم كان قصيراً زمنُ الرمل
ولا يفترقان

والبداياتُ أنا
والنهاياتُ أنا

قصيدة الخبز

(إلى إبراهيم مرزوقٍ)

كان يوماً غامضاً . .
تخرجُ الشمسُ إلى عاداتها كسلى .
رمادٌ معدنيّ يملأ الشرق . .
وكان الماءُ في أوردة الغيمِ
وفي كل أنابيب البيوتْ
يابساً
كان خريفاً يائساً في عمر بيروت

وكان الموتُ يمتدُّ من القصرِ
إلى الراديو إلى بائعة الجنس إلى سوق الخضار
ما الذي أيقظك الآن
تمام الخامسه ؟

كان إبراهيمُ رسّامَ المياه
وسياجاً للحروب
وكسولاً عندما يوقظُهُ الفجرُ
ولكنَّ لإبراهيم أطفالاً من الليْلَك والشمسِ
يريدون رغيفاً وحليب
كان إبراهيمُ رسّاماً وأب

كان حيّـاً من دجاج وجنوب وغضب
وبسيطاً كصليب

ألمساحاتُ صغيره ْ
مقعدٌ في غرفة . لا شيء . . لا شيء
وكان الرسمُ بالماء وطنْ
والتفاصيلُ لكمْ . وجهي أنا برقيّةٌ
هل تقرأون الماءَ كي نتّفق الآن ؟
البياضُ الأسودُ احتلَّ المسافات
أنا الورد الذي لا يوميءُ
القيدُ الذي يأتي من الحرية ــ الفوضى

أو العجز الذي يأخذ شكل الوطن — البوليس
هل كان الوطنْ
انطباعاً أم صراعْ ؟
وضياعاً أم خلاصْ
كان يوماً غامضاً . .
وجهي أنا برقيّةٌ الحنطة في حقل الرصاص

ما الذي أيقظك الآن
تمام الخامسهْ ؟
كنتَ تعرفْ
أنّ بيروت الفوارقْ

هل بيروت الحرائق
ما الذي أيقظك الآن
تمام الخامسه ؟
إنهم يغتصبون الخبز والإنسان
منذ الخامسة ! . .

لم يكن للخبز في يوم من الأيّامِ
هذا الطعمُ ، هذا الدمُ
هذا الملمسُ الهامسُ
هذا الهاجسُ الكونيُّ
هذا الجوهرُ الكلي

هذا الصوتُ هذا الوقتُ
هذا اللونُ هذا الفنّ
هذا الاندفاعُ البشريّ . السرّ . هذا السّحرُ
هذا الانتقالُ الفذّ
من كهف البدايات إلى حرب العصابات
إلى المأساة في بيروت
من كان يموت
في تمام الخامسة ؟

كان إبراهيم يستولي على اللون النهائيّ
ويستولي على سرّ العناصرْ

كان رسّاماً وثائر
كان يرسمْ
وطناً مزدحماً بالناس والصفصاف والحرب
وموج البحر والعمال والباعة والريف
ويرسمْ
جسداً مزدحماً بالوطن المطحون
في معجزة الخبزِ
ويرسمْ
مهرجان الأرض والإنسان ؛
خبزاً ساخناً عند الصباح
كانت الأرض رغيفاً

كانت الشمس غزاله
كان إبراهيم شعباً في رغيف

وهو الآن نهائيّ .. نهائي
تمام السادسه
دَمُهُ في خبزه
خبزُهُ في دمه
الآن
تمام السادسه ! ..

قصيدة الأرض

— ١ —

في شهر آذارَ ، في سَنَةِ الإنتفاضةِ ، قالتْ لنا الأرض
أسرارها الدمويّة . في شهر آذار مرّتْ أمام
البنفسج والبندقية خمسُ بناتٍ . وقَفْنَ على باب
مدرسة ابتدائيّة ، واشتعلنَ مع الورد والزعتر
البلديّ . افتتحنَ نشيدَ الترّاب . دخلن العناقَ

النهائيَّ – آذارُ يأتي إلى الأرض من باطن الأرض
يأتي ، ومن رقصة الفتياتِ – البنفسجُ مال قليلاً
ليعبر صوتُ البنات . العصافيرُ مَدَّتْ مناقيرها
في اتجاه النشيد وقلبي .
أنا الأرضُ
والأرضُ أنتِ
خديجةُ ! لا تغلقي الباب
لا تدخلي في الغياب
سنطردهم من إناء الزهور وحبل الغسيل
سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل
سنطردهم من هواء الجليل .

وفي شهر آذار ، مَرَّتْ أمام البنفسج والبندقية خمسُ بنات . سقطن على باب مدرسة ابتدائيّة . للطباشير فوق الأصابع لونُ العصافير . في شهر آذار قالت لنا الأرض أسرارها .

– 1 –

أسمّي التراب امتداداً لروحي
أسمّي يديَّ رصيفَ الجروحِ
أسمّي الحصى أجنحه

أسمّي العصافير لوزاً وتين
أسمّي ضلوعي شجرْ
وأستلُّ من تينة الصدر غصناً
وأقذفه كالحجرْ
وأنسف دبّابة الفاتحين .

— ٢ —

وفي شهر آذار ، قبل ثلاثين عاماً وخمس حروب ،
وُلدتُ على كومة من حشيش القبور المضيء .

أبي كان في قبضة الانجليز . وأمّي تربتي جديلتها
وامتدادي على العشبِ . كنتُ أحبُّ « جراح
الحبيب » وأجمعها في جيوبي ، فتذبل عند الظهيرة ،
مَرَّ الرصاصُ على قمري الليلكيِّ فلم ينكسر ،
غير أنّ الزمان يمرُّ على قمري الليلكيِّ فيسقط في
القلب سهواً . .

وفي شهر آذار نمتد في الأرض
في شهر آذار تنتشر الأرض فينا
مواعيدَ غامضةً
واحتفالاً بسيطاً
ونكتشف البحرَ تحت النوافذِ

والقمرَ الليلكيّ على السرو
في شهر آذار ندخل أول سجن وندخل أول حُبٍّ ،
وتنهمر الذكريات على قرية في السياج
وُلدنا هناك ولم نتجاوز ظلال السفرجلِ
كيف تفرّين من سُبُلي يا ظلال السفرجل ؟
في شهر آذار ندخل أول حُبّ
وندخل أول سجن
وتنبلج الذكرياتُ عِشاء من اللغة العربية :
قال لي الحبّ يوماً : دخلتُ إلى الحلم وحدي فضعتُ
وضاع بي الحلمُ . قلتُ : تكاثر ! تَرَ النهر يمشي
إليك .

وفي شهر آذار تكتشف الأرض أنهارها .

– 2 –

بلادي البعيدةَ عني .. كقلبي !
بلادي القريبةَ مني .. كسجني !
لماذا أغنّي
مكاناً ، ووجهي مكانْ ؟
لماذا أغني
لطفل ينام على الزعفران

وفي طرف النوم خنجر
وأُمّي تناولني
صدرها
وتموتُ أمامي
بنسمة عنبر ؟

— ٣ —

وفي شهر آذار تستيقظ الخيلُ
سيدتي الأرضَ !

أيُّ نشيد سيمشي على بطنك المتّموج ، بعدي ؟
وأيُّ نشيد يلائمُ هذا الندى والبخورَ
كأنّ الهياكل تستفسر الآن عن أنبياء فلسطين في بدئها
المتواصلِ
هذا اخضرار المدى واحمرار الحجارةِ —
هذا نشيدي
وهذا خروج المسيح من الجرح والريح
أخضرَ مثل النبات يُغطّي مساميره وقيودي
وهذا نشيدي
وهذا صعود الفتى العربيّ إلى الحلم والقدس .

في شهر آذار تستيقظ الخيلُ .
سيدتي الأرض !
والقممُ اللولبيّةُ تبسطها الخيلُ سجّادةً للصلاة السريعة
بين الرماح وبين دمي .
نصفَ دائرة ترجع الخيلُ قوساً
ويلمع وجهي ووجهك حيفا وعُرسا

وفي شهر آذار ينخفض البحرُ عن أرضنا المستطيلة مثل
حصان على وترِ الجنسِ .
في شهر آذار ينتفض الجنسُ في شجر الساحل العربيّ .
وللموج أن يحبس الموج .. أن يتموّج .. أن

يتزوَّج . . . أو يتضرَّج بالقطن
أرجوكِ ـ سيدتي الأرض ـ أن تَسكنيني وأن تُسكنيني
صهيلَكِ
أرجوكِ أن تدفنيني مع الفتيات الصغيرات بين البنفسجِ
والبندقية
أرجوكِ ـ سيدتي الأرض ـ أن تخصبي عمريَ المتمايلَ
بين سؤالين : كيف ؟ وأين ؟
وهذا ربيعي الطليعيُّ
هذا ربيعي النهائيُّ
في شهر آذار زوَّجت الأرض أشجارها .

- 3 -

كأني أعودُ إلى ما مضى
كأني أسيرُ أمامي
وبين البلاط وبين الرضا
أُعيد انسجامي .
أنا ولدُ الكلمات البسيطه
وشهيدُ الخريطه
أنا زهرة المشمش العائليه .
فيا أيها القابضون على طرف المستحيل
من البدء حتّى الجليل

أعيدوا إليَّ يديَّ
أعيدوا إليَّ الهويّه !

— ٤ —

وفي شهر آذار تأتي الظلال حريرية والغزاةُ بدون ظلال
وتأتي العصافيرُ غامضةً كاعتّراف البنات
وواضحةً كالحقول
العصافيرُ ظلُّ الحقول على القلب والكلمات .
خديجةُ !

ـ أينُ حفيداتك الذاهبات إلى حبّهن الجديد ؟
ـ ذهبن ليقطفن بعض الحجارة ـ
قالت خديجةُ وهي تحثُّ الندى خلفهنّ .
وفي شهر آذار يمشي التراب دماً طازجاً في الظهيرة .
خمسُ بنات يخبّئنَ حقلاً من القمح تحت الضفيرة .
يقرأن مطلع أنشودة عن دوالي الخليل . ويكتبن
خمس رسائل :
تحيا بلادي
من الصّفْرِ حتى الجليل
ويحلمن بالقدس بعد امتحان الربيع وطرد الغزاة .
خديجةُ ! لا تغلقي الباب خلفك

لا تذهبي في السحاب
ستمطر هذا النهار
ستمطر هذا النهار رصاصاً
ستمطر هذا النهار !
وفي شهر آذار ، في سنةِ الانتفاضة ، قالت لنا الأرض
أسرارها الدمويّةَ : خمسُ بنات على باب مدرسة
ابتدائيّةٍ يقتحمن جنود المظلات . يسطع بيت
من الشعر أخضر . . أخضر . خمسُ بنات على
باب مدرسة ابتدائية ينكسرن مرايا مرايا
البنات مرايا البلاد على القلبِ . .
في شهر آذار أحرقت الأرضُ أزهارها .

- 4 -

أنا شاهدُ المذبحه
وشهيدُ الخريطه
أنا ولدُ الكلمات البسيطه
رأيتُ الحصى أجنحه
رأيت الندى أسلحه
عندما أغلقوا باب قلبي عليّا
وأقاموا الحواجز فيّا
ومنع التجوُّل
صار قلبيَ حارهْ

وضلوعي حجارهْ
وأطلّ القرنفل
وأطلّ القرنفل

— ٥ —

وفي شهر آذار رائحةٌ للنباتات . هذا زواجُ العناصرِ .
«آذار أقسى الشهور» وأكثرُها شبَقاً . أيُّ
سيفٍ سيعبر بين شهيقي وبين زفيري ولا يتكسّرُ !
هذا عناقي الزراعيُّ في ذروة الحبّ . هذا انطلاقي

إلى العمر .

فاشتبكي يا نباتاتُ واشتركي في انتفاضة جسمي ، وعودة
حلمي إلى جسدي .

سوف تنفجر الأرض حين أُحقّقُ هذا الصراخ المكبّلَ
بالريّ والخجل القرويّ .

وفي شهر آذار نأتي إلى هَوَس الذكريات ، وتنمو علينا
النباتاتُ صاعدةً في اتجاهات كلّ البدايات . هذا
نموُّ التداعي . أسمّي صعودي إلى الزنزلخت التداعي.
رأيتُ فتاة على شاطىء البحر قبل ثلاثين عاماً
وقلت : أنا الموجُ ، فابتعدتْ في التداعي . رأيتُ
شهيدين يستمعانِ إلى البحر : عكا تجيء مع الموج .

عكا تروحِ مع الموجِ . وابتعدا في التداعي .
ومالت خديجةُ نحو الندى ، فاحترقتُ . خديجةُ ! لا
تغلقي الباب !
إنّ الشعوب ستدخل هذا الكتاب وتأفل شمس أريحا
بدون طقوس .
فيا وَطَنَ الأنبياء .. تكاملْ !
ويا وطن الزارعين .. تكامل
ويا وطن الشهداء .. تكامل
ويا وطن الضائعين .. تكامل
فكلُّ شعاب الجبال امتدادٌ لهذا النشيد .
وكلُّ الأناشيد فيك امتداد لزيتونةٍ زمّلتني .

- 5 -

مساء صغير على قرية مُهمله
وعينان نائمتانْ
أعود ثلاثين عاماً
وخمسَ حروب
وأشهد أن الزمانْ
يخبّىءُ لي سنبله
يغنّي المغنّي
عن النار والغرباء
وكان المساء مساء

وكان المغنّي يُغَنّي

ويستجوبونه :
لماذا تغنّي ؟
يردُّ عليهم :
لأنّي أغَنّي

— —

وقد فتّشوا صدرَهُ
فلم يجدوا غير قلبهْ
وقد فتشوا قلبَهُ
فلم يجدوا غير شعبهْ

وقد فتّشوا صوتَهُ
فلم يجدوا غير حزنه
وقد فتّشوا حزنَهْ
فلم يجدوا غير سجنه
وقد فتّشوا سجنَهُ
فلم يجدوا غيرهم في القيود

وراء التلال
ينام المغنّي وحيداً
وفي شهر آذار
تصعد منه الظلال

– ٦ و 6 –

أنا الأملُ السهلُ والرحبُ ـ قالت لي الأرض والعشب
مثل التحيّةِ في الفجرِ
هذا احتمال الذهاب إلى العمر خلف خديجةَ. لم يزرعوني
لكي يحصدوني
يريد الهواء الجليليُّ أن يتكلّم عني ، فينعس عند خديجة
يريد الغزال الجليليُّ أن يهدم اليوم سجني ، فيحرس ظل
خديجة وهي تميلُ على نارها
يا خديجةُ ! إني رأيتُ . . وصدّقتُ رؤيايَ . تأخذني
في مداها وتأخذني في هواها . أنا العاشقُ الأبديُّ ،

السجينُ البديهيُّ. يقتبسُ البرتقالُ اخضراري ويصبح
هاجسَ يافا
أنا الأرض منذ عرفتُ خديجةَ
لم يعرفوني لكي يقتلوني .
بوسع النبات الجليليِّ أن يترعرعَ بين أصابع كفي ويرسم
هذا المكان الموزَّعَ بين اجتهادي وحبِّ خديجةَ
هذا احتمال الذهاب الجديد إلى العمر من شهر آذار حتّى
رحيل الهواء عن الأرضِ
هذا التّراب ترابي
وهذا السحاب سحابي
وهذا جبين خديجه

أنا العاشق الأبديُّ — السجين البديهيُّ
رائحةُ الأرضِ توقظني في الصباح المبكّر ..
قيدي الحديديُّ يوقظها في المساء المبكر
هذا احتمال الذهاب الجديد إلى العمر ،
لا يسأل الذاهبون إلى العمر عن عمرهم
يسألون عن الأرض : هل نَهَضَتْ
طفلتيَ الأرض !
هل عرفوكِ لكي يذبحوكِ ؟
وهل قيّدوكِ بأحلامنا فانحدرتِ إلى جرحنا في الشتاء ؟
وهل عرفوكِ لكي يذبحوكِ
وهل قيّدوكِ بأحلامهم فارتفعتِ إلى حلمنا في الربيعْ ؟

أنا الأرضُ . .
يا أيها الذاهبون إلى حبة القمح في مهدها
أحرثوا جَسَدي !
أيها الذاهبون إلى جبل النار
مرّوا على جسدي
أيها الذاهبون إلى صخرة القدس
مرّوا على جسدي
أيها العابرون على جسدي
لن تمروا
أنا الأرض في جَسَدٍ
لن تمروا

أنا الأرض في صحوها
لن تمروا
أنا الأرض . يا أيها العابرون على الأرض في صحوها
لن تمروا
لن تمروا
لن تمروا !

نشيد الو الاخضر

إنّكَ الأخضرُ . لا يشبهك الزيتونُ ، لا يمشي إليكَ
الظلُّ ، لا تتّسع الأرضُ لرايات صباحكْ .
ووحيدٌ في انعدام اللونِ ،
تمتدُّ من اليأس إلى اليأسِ
وحيداً وغريباً كالرجاء الآسيويّ
إنّكَ الأخضرُ ، من أوّل أُمٍّ حمّلَتْكَ الاسمَ حتى
أحدث الأسلحةِ

الأخضرُ أنت الأخضرُ الطالعُ من معركة الألوانِ .
والغاباتُ ريشٌ في جناحك .
وقتلُكَ القمحُ الجماعيُّ ، الزفافُ الدمويّ .
إنّكَ الأخضرُ مثل الصرخة الأولى لطفلٍ يدخل العالمَ
من باب الخيانات ،
ومثل الطلقة الأولى لجنديٍّ
رأى قصر الشتاء الملكيّ .
وانتظرناكَ على النرجسِ
أجراساً وقتلى
وخلقناكَ ، لكي تخلقنا
ضوءاً وظلاّ .

إنّكَ الأخضرُ . لا يشبهك الزيتونُ ، لا يمشي إليك
الظلُّ . لا تتّسع الأرضُ لرايات صباحكْ .
ونشيدي لك يأتي دائماً أسود من كثرة موتي قرب نيران
جراحكْ
فلتجدّدْ أيها الأخضرُ موتي وانفجاري
إنَّ في حنجرتي عشرةَ آلاف قتيلٍ يطلبون الماءَ ،
جدّدْ أيها الأخضر صوتي وانتشاري
إنَّ في حنجرتي كفّاً تهزُّ النخلَ
من أجل فتىً يأتي نبيّاً
أي : فدائيّاً
وجَدّدْ أيها الأخضر صوتي . إنَّ في حنجرتي خارطةَ

الحلمِ وأسماءَ المسيح الحيّ
جَدّدْ أيها الأخضر موتي
إنَّ في جُثّتيَ الأخرى فصولاً وبلادْ .
أيها الأخضرُ في هذا السواد السائدِ الأخضرُ في بحث
المناديل عن النيل وعن مهر العروس
الأخضر الأخضر في كل البساتين التي أحرقها السلطانُ
والأخضرُ في كلّ رمادْ
لن أُسمّيكَ انتقال الرمز من حُلم إلى يومٍ
أُسمّيكَ الدمَ الطائر في هذا الزمانْ
وأُسمّيك انبعاث السنبله
وأنا أكتب شعراً، أي : أموتُ الآن . فلتذهب أُصول

الشعر وليتضح الخنجر ولينكشف الرمز : الجماهيرُ
هي الطائرُ والأنظمةُ الآن تُسمّى قتَلَه)
أيها الطائر من جُثّتي الكاملة المكتمله
في فضاء واضح كالخبزِ . .
يا أخضرُ ! لا يقرّبُ الله كثيراً من سؤالي
أيها الأخضرُ
لا يبتعد البحر كثيراً عن سؤالي
وأنا أذكرُ ،
أو لا أذكرُ الحادثة الأولى ،
ولكني أرى طقس اغتيالي
وأنا العائدُ من كلّ اغتيال
مستحيلا في جسد .

فلتواصلْ أيها الأخضرُ
لونَ النار والأرض وعمرَ الشهداء
ولتحاول أيها الأخضرُ
أن تأتي من اليأس إلى اليأس
وحيداً يائساً كالأنبياء
ولتواصلْ أيها الأخضر لونك
ولتواصلْ أيها الأخضر لوني
إنكَ الأخضرُ . والأخضرُ لا يعطي سوى الأخضر ،
لا يشبهنا الزيتونُ ،
لا يمشي إلينا الظلُّ ،
لا تتسع الأرضُ لوجهي
في صباحك ! . . .

وتحمل عبء الفراشة



ستقولُ : لا . وتمزّقُ الألفاظَ والنهرَ البطيءَ . ستلعن
الزمن الرديءَ ، وتختفي في الظلّ . لا — للمسرح
اللغويّ . لا — لحدود هذا الحلم . لا — للمستحيلْ

تأتي إلى مُدُنٍ وتذهبُ . سوف تعطي الظلَّ أسماء
القرى . وتّحذّر الفقراء من لغةِ الصدى والأنبياء .
وسوف تذهبُ .. سوف تذّهبُ ، والقصيدةُ

خلف هذا البحر والماضي . ستشرح هاجساً فيجيء
حُرّاسُ الفراغ العاجزون الساقطون من البلاغة
والطبولْ .

لنشيدكَ انكسرتْ سماءُ الماء . حَطّابٌ وعاشقةٌ ،
وينفتحُ الصباح على المكان . تواصل الكلماتُ
نسياناً تزوَّج ألفَ مذبحةٍ . يجيء الموتُ أبيضَ .
تهطلُ الأمطار . يتضح المسدَّسُ والقتيلْ .

سيجيئك الشهداءُ من جدران لفظتك الأخيرةِ . يجلسون
عليكَ تاجاً من دمٍ ، ويتابعون زراعةَ التفّاح

خارجَ ذكرياتكَ . سوف تتعبُ . . سوف تتعبُ .
سوف تطردهم فلا يمضبونَ . تشتمهم فلا يمضونَ .
يحتلّون هذا الوقتَ . تهرب من سعادتهم إلى وقت
يسير على الشوارع والفصولْ :

ويجيئكَ الفقراءُ . لا خبزٌ لديك ولا دعاءٌ ينقذ القمح
المهدَّدَ بالجفاف . تقول شيئاً ما عن الغضب الذي
زفَّ السنابل للسيوف . تقول شيئاً ما عن النهر
المخبّأ في عباءات النساء القادمات من الخريف .
فيضحكون ويذهبون ، ويتركون الباب مفتوحاً
لأسئلة الحقولْ .

لنشيدك اتسعت عيونُ العاشقات . نعمْ تُسَمّي خصلةَ
القمح البلادَ ، وزرقةَ البحر البلادَ . نعم ، تسمّي
الأرض سيّدةً من النسيانِ . ثم تنام وحدك بين
رائحة الظلال وقلبكَ المفقود في الدرب الطويلْ .

ستقول طالبةٌ : وما نفعُ القصيدةِ ؟ شاعرٌ يستخرج
الأزهارَ والبارودَ من حرفين . والعُمّالُ مسحوقون
تحت الزهر والبارود في حربين . ما نفع القصيدة
في الظهيرة والظلال؟ تقول شيئاً ما وتخطىء : سوف
يقترب النخيل من اجتهادي، ثم يكسرُكَ النخيلْ .

لنشيدك انتشرتْ مساحاتُ البياض وحنكةُ الجلاّد .
تأتي دائماً كالانتحار فيطلبون الحزن أقمشةً .
وتأتي دائماً كالانفجار فيطلبون الوردَ خارطةً . ستأتي
حين تذهب ، ثم تأتي حين تذهبُ ، ثم يبتعد
الوصولْ .

ستكون نسراً من لهيب ، والبلادُ فضاؤكَ الكحليُّ .
تسأل : «هل أسأتُ إليك يا شعبي ؟» وتنكسر
السفوحُ على جناح النسر . يحترق الجناح على بخار
الأرض . تصعد ، ثم تهبط ، ثم تصعد ، ثم تدخل
في السيول .

وتمرُّ من كل البدايات احتفالاً : « هل أسأتُ إليك
يا زمني ؟ » تُغَنّي الأخضرَ الممتدَّ بين يدين
يابستين . تدخل وردةٌ وتصيح : ما هذا الزحام ؟ .
ترى دماً فتصيح : من قتل الدليلْ ؟

وتموتُ وحدكَ . سوف تتركك البحار على شواطئها
وحيداً كالحصى . ستفرُّ منك المكتباتُ ، السيّداتُ ،
الأغنياتُ ، شوارعُ المدن ، القطاراتُ ، المطاراتُ ،
البلاد تفرُّ من يدك التي خلقتْ بلاداً للهديلْ .

وتموت وحدك . سوف تهجرك البراكين التي كانت

تُطيع صهيلك الدامي . وتهجرك اندفاعاتُ الدم
الجنسيّ . والفرحُ الذي يرميك للأسماك . يهجركَ
التساؤل والتعاملُ بين أُغنية وسجّان ، ويهجرك
الصهيلْ .

وسيدفنون العطر بعدك . يمنحون الوردَ قَيدكَ .
يحكمون على الندى المهجور بالإعدام بعدك .
يشعلون النار في الكلمات بعدك . يسرقون الماءَ من
أعشاب جلدك . يطردونك من مناديل الجليلْ .

وتقول : لا ـ للمسرح اللغويّ
لا ـ لحدود هذا الحلم
لا ـ للمستحيلْ .

الحديقة النائمة

(٣٦)

سرقتُ يدي حين عانقها النومُ ،
غطيت أحلامها ،
نظرت إلى عسل يختفي خلف جفنين ،
صليت من أجل ساقين معجزتين ،
انحنيت على نبضها المتواصل ،
شاهدت قمحاً على مرمر ونعاس ،
بكت قطرة من دمي

فارتجفتُ . .
الحديقة نائمة في سريري .

ذهبت إلى الباب ،
لم ألتفت نحو روحي التي واصلت نومها
سمعت رنين خطاها القديم وأجراس قلبي .
ذهبت إلى الباب
– مفتاحها في حقيبتها
وهي نائمة كالملاك الذي مارس الحب –
ليل على مطر في الطريق ، ولا صوت يأتي
سوى نبضها والمطر .

ذهبتُ إلى الباب ،
ينفتح الباب ،
أخرج .
ينغلق الباب ،
يخرج ظلي ورائي .
لماذا أقول وداعاً ؟
من الآن صرت غريباً عن الذكريات وبيتي .
هبطت السلالم ،
لا صوت يأتي
سوى نبضها والمطر
وخطوي على دَرَج نازلٍ

من يديها إلى رغبة في السفر .

وصلتُ إلى الشجره
هنا قبلتني
هنا ضربتني صواعقُ من فضة وقرنفل .
هنا كان عالمها يبتدىء
هنا كان عالمِها ينتهي .
وقفت ثواني من زئبق وشتاء ،
مشيت ،
ترددت ،
ثم مشيت ،

أخذتُ خطاي وذاكرتي المالحه
مشيتُ معي .

لا وداع ولا شجره
فقد نامت الشهوات وراء الشبابيك ،
نامت جميع العلاقات ،
نامت جميع الخيانات خلف الشبابيك ،
نام رجال المباحث أيضاً . .

وريتا تنام . . تنام وتوقظ أحلامها .
في الصباح ستأخذ قبلتها ،

وأيامها ،
ثم تحضر لي قهوتي العربية
وقهوتها بالحليب .
وتسأل للمرة الألف عن حبّنا
وأجيب
بأني شهيد اليدين اللتين
تعدان لي قهوتي في الصباح .

وريتا تنام .. تنام وتوقظ أحلامها
— نتزوج ؟
نعم .

– متى ؟
حين ينمو البنفسج
على قبعات الجنود .

طويت الأزقة ، مبنى البريد ، مقاهي الرصيف ، نوادي
الغناء ، واكشاك بيع التذاكر .
أحبك ريتا . أحبك . نامي وارحل
بلا سبب كالطيور العنيفة أرحل
بلا سبب كالرياح الضعيفة أرحل
أحبك ريتا . أحبك . نامي
سأسأل بعد ثلاثة عشر شتاء

سأسأل :
أما زلت نائمة
أم صحوت من النوم . .
ريتا ! أحبك ريتا
أحبك . .

حالات وفواصل

— ١ —

هكذا قالت الشجرة المهملة

خارجَ الطقس ،
أو داخل الغابة الواسعهْ
وَطَنِي .
هل تحسُّ العصافير أنّي

لها
وَطَنٌ .. أو سَفَرْ ؟

إني أنتظرْ ..

في خريف الغصون القصيرْ
أو ربيع الجذور الطويل
زَمَنَي .
هل تحسُّ الغزالة أنّي
لها
جَسَدٌ .. أو ثَمَرْ ؟

إنني أنتظرْ . .

في المساء الذي يتنزه بين العيون
أزرقاً ، أخضراً ، أو ذَهَبْ
بدني
هل يحسُّ المحبّونَ أني لهم
شرفةٌ . . أو قمرْ ؟
إنني أنتظر . .

في الجفاف الذي يكسرُ الريح
هل يعرف الفقراء

أنني
منبع الريح ؟ هل يشعرون بأني لهم
خنجرٌ . . أو مطرْ ؟

إنني أنتظر . .

خارجَ الطقس ،
أو داخل الغابة الواسعه
كان يهملني مَنْ أُحبُّ
ولكنني
لن أُودّع أغصاني الضائعه

في زحام الشجر

إني أنتظر . .

— ٢ —

قطار الساعة الواحدة

رَجُلٌ وامرأةٌ يفترقانْ
ينفضان الورد عن قلبيهما ،
ينكسرانْ .
يخرج الظلُّ من الظلِّ

يصيران ثلاثة :
رجلاً
وامرأةً
والوقتَ . .

لا يأتي القطارْ
فيعودان إلى المقهى
يقولان كلاماً آخراً ،
ينسجمان
ويحبان بزوغ الفجر من أوتار جيتار

ولا يفترقان . . .

. . . وتلفتُّ أجيل الطرفَ في ساحات هذا القلب

ناداني زقاق ورفاق يدخلون القبو والنسيان في مدريد:

لا أنسى من المرأة إلاّ وجهها أو فرَحي . .

أنساكِ أنساكِ وأنساكِ كثيراً

لو تأخرنا قليلاً

عن قطار الواحده .

لو جلسنا ساعةً في المطعم الصينيّ ،

لو مرَّتْ طيورٌ عائده .

لو قرأنا صحف الليل
لكنا
رجلاً وامرأة يلتقيان . . .

– ٣ –

لمساء آخر

كُلُّ خوخ الأرض ينمو في جَسَدْ
وتكون الكلمه
وتكون الرغبة المحتدمه
سقط الظل عليها

لا أحدْ
لا أحدْ . .

وتغني وحدها
في طريق العربات المهملهْ
كلّ شيء عندها
لقبٌ للسنبله
وتغني وحدها .

البحيراتُ كثيره
وهي النهر الوحيد .

قصتي كانت قصيره
وهي النهر الوحيد .

سأراها في الشتاء
عندما تقتلني
وستبكي
وستضحك
عندما تقتلني
وأراها في الشتاء . .

انني أذكرُ

أولا أذكرُ
العمر تبخـّرْ
في محطات القطاراتِ
وفي خطوتها .
كان شيئاً يشبهُ الحبَّ
هواء يتكسـّرْ
بين وجهين غريبين ،
وموجاً يتحجـّرْ
بين صدرين قريبين ،
ولا أذكرها . . .

وتغني وحدها
لمساء آخر هذا المساء
وأنادي وردها
تذهب الأرض هباء
حين تبكي وحدها .

كلماتي كلماتْ
للشبابيك سماء
للعصافير فضاء
للخطى دربٌ وللنهر مصبٌ
وأنا للذكريات .

كلماتي كلماتْ
وَهيَ الأولى . أنا الأوّلُ
كنا . لم نكن
جاء الشتاء
دون أن تقتلني . .
دون أن تبكي وتضحك
كلمات
كلمات .

– ٤ –

يوم أحد أزرق

تجلسُ المرأةُ في أغنيتي
تغزل الصوف ،
تصب الشاي ،
والشباكُ مفتوحٌ على الأيامِ

والبحرُ بعيدْ . .

ترتدي الأزرقَ في يوم الأحدْ ،
تتسلى بالمجلات وعادات الشعوب ،
تقرأ الشعر الرومنتيكي ،
تستلقي على الكرسي ،
والشباكُ مفتوحٌ على الأيامِ ،
والبحرُ بعيدْ .

تسمع الصوتَ الذي لا تنتظر .
تفتح الباب ،

ترى خطوة إنسان يسافر .
تغلق الباب ،
ترى صورته . تسألها : هل أنْتَحِرْ ؟
تنتقي موزارت ،
ترتاح مع الأرض السماوية ،
والشباك مفتوح على الأيام
والبحر بعيد .

.. والتقينا ،
ووضعتُ البحر في صحن خزف ،
واختفتْ أغنيتي

أنت ، لا أغنيتي
والقلبُ مفتوحٌ على الأيام ،
والبحر سعيد . .

— ٥ —

حالة واحدة لبحار كثيرة

إلتقينا قبل هذا الوقت في هذا المكانِ
ورمينا حجراً في الماء ،
مر السمكُ الأزرقُ
عادت موجتانِ

٥٩٢ اا

وتموَّجنا .
يدي تحبو على العطر الخريفيّ ،
ستمشين قليلاً
وسترمين يدي للسنديان
قلتُ : لا يشبهكِ الموجُ
ولا عمري .
تمدَّدْتُ على كيس من الغيم
وشقَّ السمكُ الأزرقُ صدري
ونفاني في جهات الشّعْر ، والموتُ دعاني
لأموت الآن بين الماء والنار
وكانت لا تراني

ان عينيها تنامان تنامان . .

سأرمي عَرَقي للعشب ،
لن أنسى قميصي في خلاياكِ ،
ولن أنسى الثواني ،
وسأعطيك انطباعاً عاطفياً . .

لم تقل شيئاً .
سترميني إلى الأسماك والأشواك ،
عيناها تنامان تنامان . .
سَبَقَنْا حُلْمَنا الآتي ،

سنمشي في اتجاه الرمل صيادَيْنِ مقهورين
يا سيدتي !
هل نستطيع الآن ان نرمي بجسمينا إلى القطّةِ
يا سيدتي ! نحن صديقانِ .

ونامَ السّمَكُ الأزرقُ في الموج
وأعطتنا الأغاني
سرّها ،
فاتضح الليلُ ،
أنا شاهدتُ هذا السر من قبل
ولا أرغب في العودة ،

لا أرغب في العودة ،
لا أطلب من قلبك غير الخفقانِ .

كيف يبقى الحلم حلماً
كيف
يبقى
الحلم
حلماً
وقديماً ، شردتني نظرتان
والتقينا قبل هذا اليوم في هذا المكان !

— ٦ —

الصهيل الأخير

وأصبُّ الأغنيه
مثلما ينتحر النهر على ركبتها .
هذه كل خلاياي
وهذا عَسَلي .

وتنام الأمنيهْ .

في دروبي الضيّقهْ
ساحةٌ خاليةٌ ،
نسرٌ مريضٌ ،
وردة محترقهْ
حُلُمي كان بسيطاً
واضحاً كالمشنقهْ :
ان أقول الأغنيه .

أين أنتِ الآن ؟

من أي جبلْ
تأخذين القمر الفضّيَ
من أيّ انتظارْ ؟
سيّدي الحبٍّ ؟ خطانا ابتعدتْ
عن بدايات الجبلْ
وجمال الانتحار
وعرفنا الأوديه .

أسبِقُ الموتَ إلى قلبي
قليلاً
فتكونين السفرْ

وتكونين الهواء
أين أنتِ الآن
من أي مطر
تستردين السماء ؟
وأنا أذهب نحو الساحه المنزويه .

هذه كل خلاياي ،
حروبي ،
سبلي .
هذه شهوتي الكبرى
وهذا عسلي ،

هذه أغنيتي الأولى
أغني دائماً
أغنية أولى ،
ولكن
لن أقول الأغنيه .

إشارة لا أهمية لها :

كُتبت هذه القصائد ما بين عامي ١٩٧٥ — ١٩٧٦ ، باستثناء « كان ما سوف يكون » و « قصيدة الرمل » ، فقد كُتبتا في عام ١٩٧٧ .



أحبك أو لا أحبك

١٩٧٢

أعراس



الثمن : ١٥ ل.ل.